جـــامـعة غردايـــــــة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط

خلال القرون الخمسة الهجرية الاولى

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

من إعداد الطالبين :

– بوجلال تقي الدين

– بن شاعة عبد الحميد

تحت إشراف أد/

– إبراهيم بكير بحاز

السنـــة الجـــامعيـــة

1438هـ – 1439 هـ/2017 م – 2018 م

قول مأثور

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا لعمري من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

العماد الأصفهاني

شكر و تقدير

قال تعالى: { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} الآية 152 من سورة البقرة

نشكر الله تعالى على نعمه وفضله ومنه وإحسانه

كما نشكر البرفسور ابراهيم بكير بحاز

الذي وافق على الاشراف علينا والذي كان لنا الموجه والمرشد

كما نشكر الأخ والزميل زرو عبد الرحمان الذي ساعدنا في كثير من المواضيع

كما نشكر الزميلة فهدي رقية التي سعدتنا في التحرير...

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

ولا ننسى أن نتقدم بالشكر للجنة المناقشة

وشكرا

- بوجلال تقي الدين

-بن شاعة عبد الحميد

إهداء

إلى أقدس معنيين في مفاهيم اللغة المحكية ...

واللذين استمدا وحيهما من ألفاظ السور القرآنية.

وإلى من ائتلفت الروح وأجمعت على التفوه بهما في كل المناسبات الحياة اليومية.

إلى الإخوة والأخوات

وإلى كل عائلة "بوجلال" و "بن شاعة"

إلى روح شهداء طائرة "بوفاريك" رحمهم الله

نهدي هذا العمل

"تقي الدين " و"عبد الحميد"

قائمة المختصرات بالعربية

الكلمة	الحرف
ميلادي	م
هجري	هـ
صفحة	ص
صفحتين	ص- ص
جزء	ج
مجلد	مج
تحقيق	تح
الطبعة	ط
دون مكان	د، م
دون تاريخ	د، ت

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية

Numéro	**N**
Page	**P**

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

المقدمة

الحمد لله ربِ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين مُحَمَّد خاتم النبيين

تمهيد للموضوع:

تتناول هذه المذكرة موضوعا مهما في تاريخ المغرب الإسلامي بعامة والمغرب الأوسط منه خاصة، ويعد أهم الموضوعات في هذا المجال، ويشكل استمرار انتقال المغرب الأوسط من مرحلة التناحر القبلي إلى مرحلة الدولة المنظمة والمستقلة، حيث كانت للمغرب الأوسط علاقات وروابط بين مختلف الأقطار، وفي مختلف المجالات: الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية سواء مع المغرب الأقصى والأدنى أو بلاد السودان الغربي والأندلس وكذا مع المشرق الإسلامي و أوروبا المسيحية ولعل العلاقات أخذت صورتها المنظمة بعد قيام الدولة الرستمية سنة 160هـ ومن بعدها الدولة الحمادية سنة 408هـ ويظهر ذلك جليا من خلال نشاط التبادل الاقتصادي والثقافي أيامهم، وحركة العلماء والتجارة الكثيفة بين كل الاقطار، وفي هذا الإطار تندرج مذكرتنا التي تعالج موضوع: **العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط خلال قرون الهجرية الخمسة الأولى.**

وهي الفترة الأبرز في تكوين العلاقات للمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سقوط الحماديين على يد الموحدين.

اهمية الموضوع

وللموضوع أهمية كبيرة ،لأنه يسلط الضوء على العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط مع كل الأقطار خلال الفترة المدروسة، ورغم هذه الأهمية لم تول الدراسات التاريخية لها اهتماما كبيرا، وهذا من الأسباب التي جعلتنا نميل إلى اختيار الموضوع، إضافة إلى الطابع المميز الذي نكتسبه من مثل هذه الدراسات والتي تلزم على الباحث إعمال الفكر وتوخي الحذر والدقة حتى يتمكن من الخروج باستنتاجات هامة حول الموضوع.

الاشكالية العامة

ومن خلال هذه الدراسة التي قمنا بها كان لابد من طرح الإشكالية العامة وهي: كيف **كانت العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط خلال القرون الخمسة الهجرية الأولى؟.**

إضافة إلى جملة من التساؤلات وهي فروع لتلك الاشكالية ومنها:

- فيما تتمثل دور الفاتحيين في إنشاء هذه العلاقات مع البربر؟

- كيف كان دور الولاة في إنجاح هذه العلاقات؟

-كيف كانت علاقة الخارجية الدولة الرستمية ؟

-كيف كانت علاقة قبيلة كتامة بدعوة الإسماعلية؟

-كيف كانت علاقة قبيلة كتامة الإسماعلية مع دول المغرب قبل قيام دولة الفاطميين ؟

-كيف كانت العلاقات الخارجية لدولة بني حماد؟

المنهج المتبع:

ومن أجل عدم الوقوع في الغموض في بعض المعلومات تطرقنا إلى استخدام المنهج التاريخي السردي الذي من خلال سردنا للأحداث ثم تحليلها بواسطة المنهج التحليلي وذلك بغية تمحيص الروايات التاريخية المستمدة من المصادر، حتى لا تكون مجرد صياغة لغوية وإعادة المدونات من المصنفات سواء المراجع العربية أو المصادر الغربية المترجمة إلى العربية ،وهذا هو الهدف الذي قصدناه حرصا على تقديم خدمة متواضعة لتراثنا العربي الإسلامي لمنطقة المغرب الأوسط.

العوامل الذاتية والموضوعية:

ولاشك أننا استفدنا كثيرا من الدراسة التي أتاحت لنا أن نعيش ومضات صفحات مشرقة من ماضينا المغربي، كما كشفت لنا لتعرف على المؤرخين القدامى والعلماء وعلى روادهم

المعاصرين، وإنما يكفي أن نقول بأننا أسهمنا وتطرقانا لدراسة العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في القرون الخمسة الهجرية الأولى.

عرض الخطة:

ولإنجاح هذا العمل قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى المقدمة ومدخل عبارة عن لمحة تاريخية عامة عن المغرب الأوسط وأهم الدول التي قامت خلال الفترة المدروسة، ثم أربعة فصول:

جاء الفصل الأول بعنوان: **العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الفاتحين والولاة،** واحتوى على ثلاثة مباحث فكانت البداية بالمبحث الاول والذي كان بعنوان :الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، وجاء المبحث الثاني بعنوان علاقة الفاتحين بالمغرب الأوسط، ثم عرجنا في المبحث الثالث على العلاقات الخارجية لمغرب الأوسط في عهد الولاة.

ووضعنا الفصل الثاني تحت عنوان: **الدولة الرستمية وعلاقتها الخارجية** والذي اندرج تحته اربعة مباحث وكانت بدايته بعلاقة الدولة الرستمية مع الأغالبة والأدارسة، اما المبحث الثاني فتناولنا فيه علاقة الدولة الرستمية مع بني مدرار وسجلماسة، اما المبحث الثالث فقد احتوى على علاقة الدولة الرستمية مع الطولونيين والعباسيين، ثم ختمنا هذا الفصل المبحث الرابع والذي كان تحت عنوان العلاقات الدولة الرستمية مع اموي الأندلس.

أما الفصل الثالث: فكان بعنوان: **علاقة قبيلة كتامة بدعوة الإسماعلية ودول المغرب** ،والذي اندرج تحته ثلاثة مباحث ،فتطرقنا في المبحث الأول الى علاقة كتامة بالدعوة الإسماعلية وتكلمنا في المبحث الثاني عن علاقة كتامة بالأغالبة والرستميين اما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان علاقة كتامة بالمغرب الاقصى بني مدرار نموذجا.

وجاء الفصل الرابع والاخير ليكون بعنوان: **العلاقات الخارجية لدولة بني حماد** والذي ارتأينا بدور أن نضع تحته خمسة مباحث كان الأول بعنوان علاقة الحماديين مع الزيريين، والثاني

علاقة الحماديين مع الفاطميين اما المبحث الثالث فقد جاء عن علاقة الحماديين مع المرابطين، اما في المبحث الرابع فقد تكلمنا عن علاقة الحماديين مع الاندلس و اوربا وختمنا الفصل الرابع بعلاقة الحماديين مع العباسيين في بلد المشرق .

ثم الخاتمة، وهي عبارة عن استنتاجات حول الموضوع ،أجبنا فيها عن الإشكالية والتساؤلات الفرعية المطروحة ودعمنا المذكرة بملاحق عبارة عن خرائط وصور تتعلق بالمغرب الأوسط إضافة إلى جداول الحكام وشجرة الحكام الرستميين والشيعة الاثنا عشرية والحماديين.

ولقد استفدنا من عدة دراسات سابقة منها:

جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية والذي قدم دراسة مستقلة وخاصة عن علاقة الرستميين الخارجية ويعد اهم مرجع كتب عن الرستميين في العلاقات حيث ان كل من جاء بعده بعد عالة عليه.

كريمان كحلال وحكيمة حداد: العلاقات الخارجية للدولة الحماية، والتي درست علاقة الحماديين مع الزيريين والمرابطين و الفاطميين والاندلس و اوربا المسيحية[1].

واعتمدنا في سبيل انجاح هذا البحث مجموعة من المصادر أهمها:

كتب التاريخ العام:

الدرجيني: من خلال **كتابه طبقات المشائخ بالمغرب،** والذي يعد من اهم المصادر التي تتحدث عن الدولة الرستمية

القاضي النعمان: من خلال كتابه **افتتاح الدعوة** والذي يعد أهم مصدر يتحدث عن الشيعة وعن علاقتهم بكتامة و الطريقة التي اتبعوها للقدوم الى بلاد المغرب.

1 كرمان كحلال وحكيمة حداد: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية، مذكرة نيل شهادة الماستر، اشراف: مصطفى اوكيل، قسم التاريخ، جامعة اكلي محند اولحاج،2015/2014.

الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم القاسم المعروف بالرقيق القيرواني) المتوفى في منتصف ق 5هـ/ 11م واعتمدنا على كتاب "**تاريخ إفريقية والمغرب**" الذي اشتمل على تاريخ إفريقيا والمغرب منذ الفتح العربي الإسلامي إلى عصره، كما اعتمدنا عليه في تاريخ الدولة الرستمية إذ نجد أن ابن عذاري أخذ عنه أخبار عديدة لذلك استفدنا من هذا الكتاب في تحديد الأماكن وما تحويه من تفصيلات مهمة حيث ذكرها باللهجة المحلية المغربية.

إبن خلدون (عبد الرحمان بن مُحَّد بن خلدون)المتوفي 808هـ/1405م الذي نقل عن بلاد المغرب الإسلامي والأندلس والأقطار المشرقية ما يستوفي من أخبار وكتابه "**العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" إذ يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العربية واعتمدنا عليه في تاريخ الرستميين والحماديين وحيث تناولنا منه أخبار المغرب الإسلامي لوفرت المعلومات فيه إذ تمتاز بالدقة والعمق في الأخبار وقد ساعدتنا هذه المصدر كثيرا في معرفة صلة السياسة باتصاله بالقبائل المغربية والانتقال بين العدوتين.

إبن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن عذاري المتوفي712هـ/1312م يعتبر مصدرا مغربي الأصل في كتابه " **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**" إذ يعتبر هذا الكتاب ذا أهمية خاصة في تاريخ المغرب الإسلامي على الإطلاق، لما تضمنه من معلومات مهمة وقيمة حيث أخذ من مصنفات الرقيق القيروان والبكري وأبي الفياض والطبري، لذلك استقينا من هذا الكتاب تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح حتى عصر بني مرين، وقد استفدنا كثيرا من هذا المصدر لاعتمادنا بشكل كامل في جزئه الأول حول تاريخ المغرب منذ الفتح.

كتب التراجم

المالكي المتوفي 474هـ **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم واوصافهم**، يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في التعريف بفقهاء وعلماء المالكية ويتحدث أيضا عن تاريخ الشيعة في بلاد المغرب.

كتب الجغرافيا

كما أخذنا من المصادر الجغرافية، حيث اعتمدنا في بحثنا على بعض الكتب الجغرافية التي تتضمن أخبارا تاريخية لها صلة بالمغرب والجغرافيين القدامى كون أن التاريخ والجغرافيا علمان يتمم كلا منهما بالأخر.

الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفي 616هـ/1319 الذي انتقل بكتابه بين الروم وبغداد "**معجم البلدان**" الذي اعتمدنا عليه بشكل كبير لكونه مصدرا يحتوي بحرا من المعارف برحلاته الكثيرة ومعرفته بجغرافية المدن والأماكن حتى شكل الأرض، فمعجم البلدان هذا معجم جغرافي لا يمكن الاستغناء عنه لما يتضمنه من المواقع ما مر بها من مطالعه من البلدان والقرى والمدن والجبال والبحار والأنهار، فهو يحتوي عما هو مهم في بحثنا.

الصعوبات

والحقيقة انه واجهتنا مجموعة من الصعوبات كان ابرزها طول الفترة الزمنية لموضوع المذكرة، كما خشينا ان تواجهنا صعوبة في خطته النهائية وذلك من ناحية توازن الفصول كما واجهتنا مشكلة في تكرار نفس المعلومات في نفس الفصل، كما انه لا يخلوا اي عمل صعوبات ونقائص.

تشكر

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ الشرف (البروفيسور) إبراهيم بكير بحاز، الذي تقبلنا بصدر رحب، وكان المرشد طيلة عملية البحث، كما لا ننسى كل من ساعدنا في هذا البحث من زملاء وأصدقاء.

مدخل

أولا: التعريف ببلاد المغرب و تقسيماته

بلاد المغرب هي الأقاليم الغربية من الدولة الإسلامية وهي كل ما يعكس المشرق الإسلامي و هذه البلاد من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الذي يعرف عند الجغرافيين العرب ببحر الظلمات، ويقصد عند الكتاب العرب على كل الأقاليم الواقعة غرب مصر[1]، والتي تضم إفريقية و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى، كما يطلق على المنطقة مغربا نسبة إلى الجهة التي تغرب إليها الشمس، أيضا نجد ابن خلدون يعرف المغرب فيقول: (المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة المغرب البحر المحيط وهو عنصر الماء و سمي المحيط لإحاطته بما انكشف من الأرض)[2].

وأما ياقوت الحموي فيعرف المغرب فيقول: (المغرب بالفتح ضد الشرق وهي بلاد واسعة كثيرة وغثاء شاسعة قال بعضهم: فاصل حدها مدينة مليانة)[3]. وهي حد من حدود إفريقية إلى آخر جبال سوسة التي وراء البحر المحيط فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب مما هي إلى الجنوب[4]، ويرى بعض المؤرخين الجغرافيين القدماء أن النيل هي الحد الفاصل بين المشرق والمغرب وإن كان البعض يرى أن مصر يدخل ضمن المغرب الإسلامي فيذكر ابن عذاري من

---

[1] مصر: **هي في الإقليم الثالث من مدينة الفسطاط والإسكندرية، سميت بمصر نسبة إلى مصرايم بن نوح عليه السلام وهي من فتوح عمر بن العاص**، ينظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، 1993، ج3، ص 137.

[2] ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خالد شحادة، منشورات مؤسسة الأعلمي، المطبوعات، بيروت، 1968م، ج6، ص 98.

[3] مدينة مليانة: **تقع في المغرب الأوسط، يعود تأسيسها إلى حقبة الرومانية كانت حامية عسكرية، أعاد بنائها بولوغين بن زيري**، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 244.

[4] إبراهيم علي تهامي: **أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحراف العقائدي**، كلية الدعوة وأصل الدين، قسم العقيدة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412م، ج1، ص 17.

أقسام المغرب قسم الإسكندرية[1]، إلى طرابلس[2]، وهي أكبرها وأقلها عمرانا ويضيف أن المغرب ينتهي عند ساحل البحر المحيط.

ويجب أن نميز أولا بين مصطلحي المغرب والمغرب الإسلامي[3]؛ فالمغرب يقصد به الشمال الإفريقي أو بلاد المغرب العربي، كما أطلق عليه في بعض الأحيان في العصر الحديث، أما مصطلح الغرب الإسلامي فهو أوسع في المدلول الجغرافي حيث يطلق على بلاد المغرب والأندلس والجزر الواقعة غرب البحر المتوسط مثل صقلية[4]، وجزر البليار[5]، التي خضعت للمسلمين، ونقصد بها القسم الغربي من العالم الإسلامي[6].

ويمكن أن نقسم بلاد المغرب إلى أربع مناطق جغرافية وهي: برقة[7] وطرابلس وفزان[8]ونفوسة، وتقع برقة غرب مصر وهي تعد إمتداد طبيعي لها، أما طرابلس فإنها تعتبر إقليما

---

[1] مدينة الإسكندرية: **هي مدينة من مدن مصر، يعود تأسيسها إلى الحقبة الرومانية علة يد إسكندر الأكبر**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الراشدين**، ط1، درا النفائس، بيروت، لبنان، 2003، ص 45.

[2] طرابلس: **مدينة من مدن المغرب، ليبيا حاليا أسست في القرن السابع الميلادي زمن الفينيقيين**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 60.

[3] المغرب الإسلامي: ينظر الملحق1: حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، طبعة خاصة، مكتبة الأسرة، 2004 م، ص 507.

[4] صقلية: **هي جزيرة إيطالية تقع في البحر المتوسط، كانت تحت الحكم الإسلامي، فتحت في عهد عثمان بن عفان، عام 652هـ**، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج3، ص 312.

[5] جزر البليار: **هي جزر تقع في عرض المتوسط فتحت على يد موسى بن نصير عام 89 هـ**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص 416.

[6] كمال أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي**، مركز الإسكندرية للكتاب، شارع مصطفى مشرفة، الأزاريطة، مصر، 2007، ص 29.

[7] برقة: **هي الاسم العربي لولاية سيراتيك وعاصمتها الحالية بنغازي، يعود تأسيسها إلى الفينيقيين، نسبة إلى أسرة (برقة) التي ينتمي إليها ((هنيبعل)) قائد جيوش القرطاجية**، ينظر: مُحَمَّد مصطفى، **بنغازي عبر التاريخ**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 1968م، ص 47.

[8] فزان: **هي ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، فيها نخل كثير وتمر كثيرو الغالب على أوان أهلها السودان**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص 62.

قائما بحد ذاته و يتصل بجبل نفوسة[1]؛ الذي يعتبر بدوره امتدادا لسلاسل جبال الأطلس ويمثل الإقليم الجنوبي لطرابلس في فزان الذي يمتد إلى قلب الصحراء[2]، ويأتي بعد هذه الأقاليم إقليم إفريقية أو المغرب الأدنى وقد اختلف المؤرخون في أصل الكلمة فامنهم من قال إنها اسم مكان، و منهم من قال إنها اسم شخص ثم أطلق على المكان و منهم من يرى أن إفريقية نسبة للسكان الأصليين وهم الأفارقة و الجدير بالذكر أن اسم إفريقية أخذه العرب و الرومان و كان هؤلاء يطلقون اسم (AFRICA) على مستعمراتهم في الجنوب و كانت عاصمتها قرطاجة و تمتد إفريقية من طرابلس شرقا إلى تيهرت غربا و كانت قاعدتها القيروان.

ويأتي بعد ذلك إقليم المغرب الأوسط، و المغرب الأوسط يمتد من غرب قسنطينة[3]، إلى وادي ملوية[4]، و من أهم مدنه تيهرت[5] و تلمسان[6]و بجاية[7] و القلعة[8] و هو الإقليم الذي يتوسط أقاليم المغرب[9] و يتميز هذا الإقليم بتنوع حدوده الطبيعية و عناصره السطحية المتنوعة

---

[1] نفوسة: **جبال في المغرب بعد إفريقية على نحو ثلاثة أميال، أشهر مدنها شروس ونفزاوة**، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3 ص 145.

[2] عبد العزيز شهبي: **تاريخ المغرب الإسلامي<مختصرات لطلاب الجامعات>**، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار- الجزائر ، 2013، ص 01.

[3] قسنطينة: **مدينة أسست على يد التجار الفينيقيين وقد طورها الرومان**، ينظر: مُحَمَّد الهادي الشريف، **تاريخ تونس**، ط3، دار ساراس، تونس، 1993، ص 56

[4] واد ملوية: **معروف بنهر ملوية يقع في شمال المغرب، كان حد فاصل بين المغرب الأوسط والأقصى**، ينظر: ياقوت الحموي، ج3، المصدر السابق، ص 126.

[5] تهيرت: **اسم لمدينتين بأقصى المغرب مدينة قديمة وأخرى حديثة تبعد على مسيلة ستة أميال**، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 7.

[6] تلمسان: **مدينة في المغرب الأوسط**، ينظر: ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص 155.

[7] بجاية: **مدينة على الساحل بين أفريقية والمغرب الأقصى، كان أول من اختاطها الناصر بن علسان بن حماد، كانت ميناء قديما**، ينظر ياقوت الحموي: نفسه ، ج2، ص 122.

[8] القلعة: **هي مدينة مشهورة بقلعة بني حماد التي اختاطها أحمد بن مناد بن بلكين حدود علم 398هـ**، ينظر: ياقوت الحموي: نفسه، ج3، ص 135.

[9] عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص 01.

التي ساعدت الدول التي قامت في المغرب الأوسط من بسط نفوذها و تحقيق الأمن الغذائي والتجاري، و يأتي بعد هذا الإقليم المغرب الأقصى و يسمى بذلك لبعده عن دار الخلافة و يمتد من وادي ملوية إلى جبال تازا[1] حتى محيط الأطلسي[2] وقاعدته مدينة فاس[3] ثم مراكش[4] ويشمل عدة مدن منها فاس وسلا[5] ودرعة[6] و هو من الأقاليم التي كانت أرضا خصبة للعديد من أصحاب المذاهب و الأفكار الخارجية.

لقد عاش ببلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي عدة أجناس ولعل من أهمها البربر[7] وهم الغالبية العظمى من سكان المغرب أصحاب الأرض الأصليين، الذين تصدوا للفتح الإسلامي في البداية ثم ما لبثوا أن ساندوا الفاتحين بعد أن اختلطوا بالمسلمين وعرفوا مبادئ الدعوة السامية، فأقبلوا على الإسلام وآمنوا به وحملوا الراية للأندلسي ودافعوا هنها[8].

---

[1] جبال تازا: **تقع في إقليم تازا وهي من أقدم المدن المغربية، تقع بين نهر ملوية ونهر أنياون من جهة الغرب**، ينظر: ياقوت الحموي: نفسه، ج3، ص 252.

[2] محيط الأطلسي: **هو ما يعرف عند العرب ببحر الظلمات يعد ثاني محيطات كبرا من حيث المساحة**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 450.

[3] فاس: **مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر**، ينظر: عبد اللطيف السعدي: **إدريس الإمام منشئ دولة**، دار النجاح، الرباط، 2015، ص 54.

[4] مراكش: **تعني أرض الله أسسها يوسف بن تاشفين والذي أسست له مدرسة تحمل اسمه**، ينظر: عبد اللطيف السعدي: المرجع نفسه، ص 60.

[5] سلا: **مدينة أسسها الموحدين في القرن 11م، في سنة 1192م، ازدهرت في عهد المرنيين القرن 14م**، ينظر: عبد اللطيف السعدي، نفسه، ص 67.

[6] درعة: **مدينة على سفح واد درعة، الذي ينبع من جبال الأطلس**، ينظر: أكنوش عبد اللطيف، **تاريخ المؤسسات في المغرب**، دار إفريقيا، المغرب،1980، ص 12.

[7] البربر: **من بنوا حام تنازعوا مع بني سام فتهزم بنو حام ورحلوا إلى باد المغرب واتصلوا بشعوب أهل مصر**، ينظر: عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص 02.

[8] عبد العزيز شهبي: نفسه، ص 02.

ونجد أيضا عنصر الأفارقة وهم خليط من بقايا الروم[1] والوندال[2] وغيرهم حيث نجدهم استقروا بمدن المغرب واختلطوا بالمتحضرين من البربر، ولم تكن تجمعهم بأهالي البلاد إلا الحياة المشتركة[3]، فنجد الأقلية من بعض القوميات والعناصر الدخيلة مثل اليهود بحيث بدا الفكر اليهودي بالتسرب إلى المغرب أيام الرومان، وأيضا نجد أن الرومان الذين استقروا بالمغرب واشتغلوا بالتجارة والزراعة كما اشتغلوا في الإدارة الاستعمارية البيزنطية[4].

ثانيا: التعريف ببلاد المغرب الأوسط:

مصطلح المغرب الأوسط كما جاء عند سعد زغلول عبد الحميد نقلا على البكري: "أن وادي ملوية يعد الخط الفاصل الذي يقسم المغربين الأوسط والأقصى"[5]، والمغرب الأوسط يمثل جزء من الكلمة العامة وهي المغرب وقد أطلق العرب كلمة المغرب على تلك المساحات الواسعة التي تلي غرب مصر إلى المحيط الأطلسي[6]، ولم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الاسم عند الفاتحين المسلمين حينما زحفت جيوشهم على مستعمرات البيزنطيين آنذاك[7].

و كما جاء عند البكري فوادي ملوية هو؛ الحد الطبيعي الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى، وعلى هذا المجال من شمال المغرب الأوسط، الذي صار دارا للرستميين، فيبدأ من بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا و هذه الواجهة الشمالية للمغرب الأوسط تطل على البحر المتوسط

---

[1] الروم: **هم من الشعوب الأوروبية القديمة، ينحدرون من شعوب الهند وأوروبية وقد أسسوا إمبراطورية لهم في شمال إفريقيا**، ينظر: مُحَمَّد سهيل طقوش: المرجع نفسه، ص 54.

[2] الوندال: **هم من قبائل الجرمانية، أسسوا لهم دولة في شمال إفريقيا من مدنها قرطاجة**، ينظر: شوقي أبو خليل: **بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمان الغافقي**، ط3، مكتبة لسان العرب، المغرب، 1998م، ص 16.

[3] عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص 02.

[4] عبد العزيز شهبي: المرجع نفسه، ص 03.

[5] سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، ط2، دار نشأة المعارف، مصر، 1998، ص- ص 1-،14.

[6] مُحَمَّد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية والمغرب الإسلامي**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ص 11.

[7] ابن عبد الحكيم: **فتوح مصر والمغرب**، تح: عبد المنعم عامر، طبع ونشر لجنة البيان العربي، مصر، 1415هـ، ص 333.

حيث تمثل الصحراء الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط و قد ضمت هذه الصحراء الكثير من العوامل التي أسهمت في قيام علاقات تجارية و ثقافية وطيدة بين الرستميين و جيرانهم في جهة السودان الغربي لذا كانت في هذه الصحراء الكثير من منابع المياه التي تعتبر مرفأ تستريح فيه القوافل[1].

أما عن الحدود الشرقية للمغرب الأوسط فقد تميزت بأنها حدود مفتوحة طبيعيا، سهلت اتصال المغرب الأوسط بجهة إفريقية الجنوبية و إقليم طرابلس و جبل نفوسة حيث لا توجد هناك فواصل عريضة تعرقل الانتقال بين المغرب الأوسط و هذه الجبهات الجنوبية[2]، ومع هذه الحدود الطبيعية التي يتمتع بها المغرب الأوسط كانت هناك عناصر على السطح متنوعة والتي بسط الرستميين و الحماديين نفوذهم عليها فتمتد على أراضي المغرب الأوسط، سلسلتان جبليتان معروفتان باسم الأطلس التلى و الأطلس الصحراوي[3]، وتحاذي الأطلس التلى ساحل البحر فيقسم شمال المغرب الأوسط إلى ثلاثة مناطق، تتباين بعضها عن بعض و هذه المناطق الساحلية هي المناطق التالية:

1-**السهول الضيقة** و هي غنية كثيرا بالسكان وتلي هذه المناطق.

2- **المناطق التلية** وهي الوجه الجبلي من جبال الأطلس الذي يلي البحر وهذه المناطق أخصب جهات المغرب الأوسط وأغناها من حيث التربة والغابات، ومن هذين المنطقتين خرجت الكثير من المحاصيل الزراعية وغيرها التي صدرت إلى الأندلس عن طريق الموانئ[4].

---

[1] مُحَمَّد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 13.

[2] إبراهيم العدوي: **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، ط1، مكتبة الأنجاد، مصر، ص 11.

[3] ابن سعيد العربي: **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط2، منشورات الكتب الجاري، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص 142.

[4] إبراهيم رزناته: **المغرب العربي**، معهد الدراسات الإسلامية، الدار البيضاء، 2005، ص 05.

3- **مناطق النجود أو الشطوط** تقع بين سلسلتي جبال الأطلس التلي والصحراء وهي فقيرة التربة قليلة المياه لا تسمح للإنسان بدوام الإستقرار بها لذا فهي قليلة السكان ضعيفة العمران[1]،وقد ارتبط أهالي النجود والشطوط ببدو الصحراء أكثر من ارتباطهم بأهالي السهل الساحلي وهذه الأقاليم فيها المراعي التي أمدت الدولة الرستمية بالثروة الرعوية[2].

[1] مُحَمَّد أحمد حسونة: **آثار العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية**، ط1، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1985م، ص 50.

[2] مُحَمَّد أحمد حسونة: المرجع نفسه، ص 53.

ثالثا: دول المغرب الأوسط من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، عددا من الأحداث السياسية التي كانت من نتائجها بروز ظاهرة الانفصال السياسي، عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق العربي، وقد تمخض عن ذلك انقسام المغرب الإسلامي إلى دول وإمارات حيث اتسعت الهوة بينهم وقد شهدت المنطقة حركة عرفت بحركة الخوارج وكان من أهم نتائجها قيام دول مستقلة بالمغربين الأقصى والأوسط وبالنسبة لموضوعنا فإن المغرب الأوسط كان أيضا أراض خصبة لقيام دول مستقلة عن الخلافة في المشرق، فكانت الدولة الرستمية

1- الدولة الرستمية في المغرب الأوسط:

يعد قيام الدولة الرستمية إنجاز مهما في تاريخ المغرب الأوسط، حيث يرجع الفضل في ذلك لجهود الإباضية[1] فقد كونت حاجزا ضخما يحمي من خلاله المنطقة من العباسيين لهذا أستطاع الأدارسة[2] إقامة دولتهم ،حيث كان للرستميين دور أيضا في منح الدولة العباسية للأغالبة[3] حق لإقامة دولتهم [4]، و للحديث عن الدولة الرستمية يعني ذكر مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الذي أجمعت أغلب المصادر على أنه فارسي الأصل[5]، انتقل إلى القيروان مع أمه بعد زواجها برجل من أهل القيروان، وكان إنتقال عبد الرحمان بن رستم إلى بلاد المغرب الأوسط بعد وفاة أبي الخطاب

---

[1] الإباضية: **أصحاب عبد الله ابن إباض التي تنسب إليه فرقة من الخوارج**. ينظر: الشهر ستاني: **الملل والنحل**، تح: أحمد فهمي مُحَمَّد، ط2، دار العلمية بيروت، 1992، ج2، ص 142.

[2] الأدارسة: **نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين من على ﷺ، أسس دولة في المغرب الأقصى**. ينظر: ابن الآبار، **الحلة السراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م ج1، ص 53.

[3] الأغالبة: **حكوا المغرب الأدنى باسم العباسيين، تميزوا بقوى البحرية**، ينظر: أحمد مختار العبادي: **تاريخ المغرب و الأندلس**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 167.

[4] فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبس مُحَمَّد: **الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية**، مجلة كلية التربة الأساسية،العدد10، جامعة بابل، العراق، ص 166.

[5] مُحَمَّد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 73.

بن سمح المعافري[1] إيمانا بظهور الدولة الرستمية التي أضحت قوة جديدة كان لها الأثر البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله إلى نهاية القرن الثالث هجري[2].

ولقد إختار عبد الرحمان بن رستم موضع تيهرت التي أسست ما بين 160هـ-171هـ عاصمة له وبعد وفاة عبد الرحمان بن رستم تقلد مهام الحكم والإمامة لدى الرستميين سبعة من أولاده و أحفاده[3]، فكان الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم 171هـ-208هـ أول من تولى هذا المنصب بعد أبيه و في عهده كانت الدولة الرستمية قوية استطاعت فرض هيمنتها و سيطها واحترامها في المنطقة حيث تمكن من إنهاء حلات الفتن[4]وقد ورثه ابنه أفلح بن عبد الوهاب[5]208هـ- 258هـ الذي أخذ الكثير عن أبيه و في عهده عاش السكان حالة من الرخاء و الراحة و قد جاء من بعده ابنه أبوبكر بن أفلح[6]258هـ-261هـ [7].

لذلك اعترضت الدولة حالات الضعف وهذا ما دفع أخيه مُحَمَّد بن أفلح الملقب بأبي اليقظان[8]261هـ- 281هـ إلى السعي لأجل إصلاح ما أفسده أخوه وقد تمكن من ذلك بحكم السياسة التي انتهجها وبعد وفاة أبي اليقظان دخلت الدولة منعطفا خطيرا أدى بها إلى الضعف والانهيار وقد كان آخر الأئمة الرستميين من الإباضية في تيهرت هو اليقظان ين مُحَمَّد بن أفلح 294هـ- 296هـ وفي عهده سقطت الدولة على يد الفاطميين 296هـ[9]

---

[1] ابي الخطاب بن سمح المعافري: **زعيم الإباضية في إفريقية**، ينظر: الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاوي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ج2، ص 519.

[2] مُحَمَّد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 73.

[3] مُحَمَّد عيسى الحريري: نفسه، ص 73.

[4] ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحار، باريس، 1908، ص 17.

[5] أفلح بن عبد الوهاب: **ثالث الأئمة الرستميين، كان سمحا جودا**. ينظر: ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 22.

[6] أبو بكر بن أفلح: **رابع الأئمة الرستميين، في تيهرت كان قوي وذكي**. ينظر ابن الصغير: نفسه، ص 31.

[7] فارس سليم ومُحَمَّد عيسى حميد: المرجع السابق، ص 166.

[8] أبي اليقظان: **خامس الأئمة في تيهرت كان تقيا**. ينظر: ابن الصغير، نفسه، ص 28.

[9] ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

الدولة الحمادية في بلاد المغرب الأوسط

دام عمر الدولة الحمادية ما يقارب القرن ونصف القرن منذ أن إختط حماد القلعة إلى سقوط الدولة سنة 547هـ على يد عبد المؤمن بن علي الرجل السياسي الأبرز للموحدين 408هـ-547هـ [1].

إلا أن العمر الذي قامت فيه الدولة الحمادية ككيان سياسي معترف به في المغرب الإسلامي وغيره من الأمصار حيث يبدأ عمرها من 408هـ- 1014م إذ أن الفترة الممتدة من سنة 390هـ- 408هـ كانت مرحلة صراع من أجل إرساء دعائم مشروعية الدولة وانفصالها عن دولة الزيريين كدولة مستقلة[2] وقد حكم الدولة على امتداد هذه الفترة تسعة أمراء اختلفوا قوة وضعفا في أسلوب حكمهم وقد كان حماد مؤسس الدولة هو أول أمرائها ثم خلفه ذريته من بعده إلى أن جاء يحي بن العزيز الحمادي 515هـ، 547هـ فكان أخر أمراء الذين حكموا هذه الدولة[3].

وتعد الدولة الحمادية أول دولة بربرية مستقلة تعيد المذهب السني إلى بلاد المغرب الأوسط، في العصر الإسلامي، حيث يعتبر ظهورها أبرز حدث لذلك العصر في المجال السياسي، وقد اتسم حكم المغرب بين أمراء العصر بعصر الاستقلال البربري أو عصر ملوك الطوائف قياسا على وضعية الحكم المعاصر له في بلاد الأندلس[4].

نجح حماد بن بلكين بن زيري في إقامة دولة له ولبنيه منذ سنة 408هـ-419هـ وقد استعان حماد في إقامة دولته بكل الوسائل والطرق الممكنة وساعدته عوامل عديدة في الوصول إلى

---

[1] توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1350هـ،1931م، ص29.

[2] عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ط1، دار الصحوة، القاهرة، ص99.

[3] احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر،ط1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر،1981،ص31.

[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص112.

هدفه وفي قيام الدولة على أساس الصلح بينه وبين الزيريين أبناء عمومته في فترة السلام امتدت قرابة ربع قرن فقد شغلت فترة حكم حماد الباقية 375هـ-386هـ وتلته إلى فترة حكم القائد بن حماد 419هـ- 435هـ فلم يصلنا خلال هذه الفترة ما يدل على وقوع خلافات بين فرعي صنهاجة الزيريين[1].

وخلال هذه الفترة الهادئة نسيبا مع الزيريين كان على حماد أن يقوم بتوطيد دعائم دولته التي أنهكتها الحروب المتلاحقة مع أبناء أخيه، والتي استغرقت الفترة ما بين 398هـ-408هـ/ 1007م- 1017م وكان حماد بدوره قد أنهك نتيجة الحروب الطويلة مع زناتة منذ أن بدأ بالظهور على مسرح الأحداث[2]، وقد قضى حماد الفترة الباقية من عمره بعد أن اصطلح مع المعز مجدا في تدعيم مملكته الفتية ومن خلال هذه المراجع والمصادر التي درسناها يبدو لنا أن حماد قد غير من سياسته مع الرعية في هذه الفترة إذ أنه قد تعلم من المعارك التي جرت بينه وبين الزيريين[3].

وقد عمق حماد رغبته في السلام بتدعيم علاقته بأبناء أخيه المنصور في القيروان إذ زوج ابنه عبد الله بن حماد من ((أم العلو)) أخت المعز، فازدادت المودة واستحكمت الصلة[4].

ويدعم لنا رابح بونار العلاقة نقلا عن ابن الأثير ما يؤكد الصفاء بين فرعي صنهاجة في هذه الفترة من حكم حماد، حيث يذكر أن حمادا توفي في شهر رجب سنة 419هـ/1028م أثناء نزهة خارج قلعته بتارمات على بعد ثمان كيلومترات شرقي المكان التي أنشأت فيه بجاية فعظم على المعز موته، لأن الأمر كان قد صلح بينهما[5].

---

[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 112.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص 208.

[3] رابح بو نار: **المغرب العربي**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2000، ج2، ص 209.

[4] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تح: الفداء عبد الله القاضي، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ج9، ص 259.

[5] عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص 110.

والذي يمكن الاطمئنان إليه أن هذه الفترة من حياة حماد كانت عهد بناء وتشييد لأسس الدولة[1]،وكانت تمهيدا للقائد بن حماد ليتسلم من بعده ابنه دولة ثابتة الأركان قوية البناء ولقد ورث الحكم بعد حماد تسعة من أبنائه وأحفاده ترجحت الدولة بينهم في القوة والضعف حتى سقطت على يد الموحدين في عهر آخر أمرائها يحي بن العزيز في547هـ[2].

[1] رابح بو نار: المرجع السابق، ص 207.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 112.

الفصل الأول

العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط

في عهد الفتوح والولاة

الفصل الأول: العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الفتوح والولاة

المبحث الأول: فتح المسلمين للمغرب الأوسط

لم يبدأ الفتح الإسلامي للمغرب بأخذ صورة الاستقرار، إلا بتأسيس عقبة بن نافع لقاعدة القيروان[1] عام 50هـ/671م، ويعتبر هذا التاريخ بداية التفكير الجدي في فتح المغرب الأوسط، ودخول الإسلام إلى مجاهل المغربين الأوسط والأقصى بدلا من التوقف عند شواطئ إفريقية من مصر، و التي تعتمد عليه سياسة الفاتحين العرب في مجرد الكر و الفر و الاستطلاع و الحصول على المعلومات، نتيجة ارتداد البربر إلى ذلك الحين[2]، لم يكمل عقبة فتح البلاد حتى عزل وتسلم الأمر بعده أبو المهاجر دينار سنة 55هـ/676م،و قد استفاد أبو المهاجر من أسس الاستراتيجية الجديدة التي بدأها عقبة بن نافع ببناء القيروان، فأسس بدوره مدينة جديدة أكثر قربا من البربر و سماها "تيكروان"[3] و سار بحملاته غربا إلى المغرب الأوسط، و تمكن من الانتصار على عمالة قسنطينة سنة 59هـ، و جعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة فابتنى بها دار الإمارة ومكث بها سنتين، وقد حظيت ميلة بذلك بشرف إمارة إفريقية الإسلامية في هذه الفترة، ثم اتجه غربا حتى وصل جبال الونشريس، و اخضع القبائل التي كانت تقطن تلك الدروب الوعرة[4]، وكان أبو

---

[1] القيروان معناها: **مدينة أو معسكر أو مساحة وهو لفظ فارسي نعرب أصله كروان أو كريان ومعناه المعسكر** العظيم، ينظر: البلاذري: **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988، ج1، ص- ص 247-264.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 465.

[3] **وردت بأسماء مختلفة دكرور، تكرور، تاكرونة، تاكروان**، أنظر :موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط1، مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر، 1969، ص 44.

[4] طارق بن زاوي: **استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية**، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم تاريخ 2008م، جامعة الجزائر، ص 49.

المهاجر بذلك أول أمير مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط[1] فنشر فيه الإسلام، ووصل البربر بالعرب و فتح قلوب البربر للعرب بلينه و كياسته و حسن تسييره[2].

فقد تمكن أبو المهاجر من التقدم في المغرب الأوسط حتى تلمسان[3] وما أن عاد عقبة بن نافع للمرة الثانية إلى المغرب على عهد يزيد بن معاوية، حتى قضى على مقاومة قبائل البرانس في المغرب الأوسط وقتل كل المرتدين، واستفتح حصون الروم مثل بغاية وليس، وقد قام بعديد من المعارك مع ملوك البربر في الزاب وتيهرت ففضهم جمعا بعد جمع وتوغل في بلاد المغرب الأوسط غربا حتى وصل إلى المغرب الأقصى[4].

ونحن لا يمكننا أن نفضل دور أي من عقبة وأبي المهاجر في فتح المغرب الأوسط، ونعتبرهما معا ناشري لواء الإسلام في هذا البلد، ولقد غلبت على أولهما نزعة الحماس الصوفي، وغلبت على ثانيهما نزعة الدهاء السياسي، وقد استشهدا معا في موقعة "تهوذة"[5] من أرض الزاب على يد كسيلة أواخر سنة 63هـ [6].

لقد طلب الأمر من زهير بن قيس البلوي، الذي أرسله عبد العزيز بن مروان والي مصر لعبد الملك بن مروان، ليثأر من يوم تهودة (تهوذة) حيث قتل كسيلة كما جاء عند ابن خلدون: ((قتل كسيلة ومن تعقب البربر))[7]. في موقعة ممس جنوب القيروان.

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1965، ج1، ص 129.

[2] مُحَمَّد على دبوز: **المغرب الكبير**، ط1، دار النشر تاوالت، ليبيا، 1964، ج 1، ص 38.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 217.

[4] حسن محمود: **قيام دولة المرابطين**، مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص 60.

[5] تهودة: **اسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية لهم أرض تعرف بهم**، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ج2، ص438.

[6] أبن عبد الحكم: المرجع السابق، ص 269.

[7] ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص 217.

وقد أمعن الفاتحون في تعقب البربر المهزومين حتى وادي ملوية بل أوغلوا حتى أقصى ((طنجة))، فكان زهير بن قيس قد أخضع البرانس وقتل كسيلة وفتح طريق الإسلام إلى المغرب الأقصى[1].

وكما نجح زهير في القضاء على كسيلة، نجح خلفه حسان بن النعمان في القضاء على الكاهنة[2].

[1] حسن محمود: المرجع نفسه، ص 62.

[2] ينظر عن الكاهنة :ابن عداري المراكشي :**بيان المغرب في ذكر اخبار ملوك الاندلس و الب**، ط2،مكتبة صابر، بيروت، 1950.ص104.

المبحث الثاني: علاقة الفاتحين بالمغرب الأوسط

بعد تولي مسلمة بن مخلد ولاية مصر قام بعزل عقبة بن نافع، استخلف أبا المهاجر دينار على ولاية المغرب حيث وصل أبو المهاجر القيروان56هـ الموافق لسنة 674م، و إرسال معه جيش من مصر و الشام، لم ينزل أبو المهاجر الدينار في القيروان بل أول ما قام به تشييد مدينة جديدة لتكون قاعدة في الفتح و التقرب من البربر في المغرب الأوسط و الأقصى، و هي مدينة "دكرور"[1] فأقام فيها المسجد الجامع و دار الإمارة و يظهر أنه كان يقصد بعمله هذا التعامل و التقرب من سكان البربر في المغرب الأوسط و لضمهم إلى صفوف المسلمين، و خاصة أنه من الموالي وليس عربيا[2]، حيث نجح في إشعار البربر أنه واحد منهم[3]، وفي ولايته خرج أبو المهاجر بالجيش لفتح المغرب الأوسط حتى بلغ تلمسان و بهذا كان جيشه أول من وطأ المغرب الأوسط من جيوش المسلمين[4].

بعد أن استقر أبو المهاجر في المدينة الجديدة، وصلت إليه أنباء عن تحالف الروم وقبائل البربر التي لم تدخل الإسلام بعد ضد المسلمين، فقد تحالف بربر أوربة البرانس[5] مع الروم الذين تفرغوا إلى شؤون إفريقية بعد أن كانوا مشغولين بصد غارات المسلمين في المشرق عن عاصمتهم القسطنطينية. التي حاصروها سنة 48هـ-56هـ و فشلوا في فتحها[6]، كان بربر أوربة تربطهم

---

[1] السلاوي: **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تح جعني الناصري/مُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، ط2، الدار البيضاء، ج2، ص 130.

[2] السلاوي: المصدر نفسه، ج2، ص 130.

[3] السلاوي : نفسه، ج2، ص 132.

[4] عبد العزيز غوردو: **الفتح الإسلامي لبلاج المغرب**،ط2،دار الناشري للنشر الإلكتروني، وجدة، المملكة المغربية، 2011،ص24.

[5] **البرانس**:وقال سالم بن سليم المطماطي والصابي بن مسرور الكومي وكهلان بن ابي لوا وهم نسابة البربر، ان البرانس هم من نسل مازيغ بن كنعان والبرانس عند النسابين هم سبعة اجذام: وهي ازداجة وصنهاجة وكتامة ومصمودة واوربة وعجيسة.**ينظر:ابن خلدون المصدر السابق،ج6،ص117**.

[6] مُحَمَّد مُحَمَّد الأمين: **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص 55.

بالروم روابط حضارية لأنهم من البرانس، وقد شعروا بالخطر يهدد بلادهم منذ تأسيس القيروان، ومنذ أن قلص المسلمون النفوذ البيزنطي في المغرب، حتى برز أحد عظماء البربر و ملكهم كسيلة بن لمزم[1]، و كان من الموالين للروم الذين دخلوا في النصرانية، حيث أخذ يجمع حوله فلول الروم و الفرنجة و جموعا من قومه البرانس ليقاتل بهم المسلين و يطردهم من المغرب، قام أبو المهاجر بالزحف على رأس الجيش نحو بربر أوربة و حلفائهم مخضعا كل الحصون التي يمر بها حتى وصل إلى منطقة تلمسان[2]و هناك لقي كسيلة، فهزمه و فرق جيوشه ثم أدركه و أسره[3]،و لما لم يجد كسيلة بدلا من الخضوع لأبي المهاجر أظهر إسلامه، و تبعه عدد كبير من قومه، و صالح أبو المهاجر من فتح مدينة تلمسان[4]،و بعد أن اطمأن أبو المهاجر إلى الوضع الجديد بانضمام البربر إليه، توجه نحو قرطاجة و قام بفتحها ثم عاد أبو المهاجر إلى الميلة سنة 61هـ واستقر فيها يدعو البربر إلى الإسلام فأقبلت عليه وفود كثيرة من عدة قبائل و اعتنقت الإسلام، و دخل عدد من رجالها في صفوف الجيش الإسلامي[5].

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ، رأى يزيد بن معاوية أن يرد عقبة بن نافع على المغرب وأن يفصل أبا المهاجر ويجعل ولاية المغرب منفصلة عن ولاية مصر سنة 62هـ [6]، أسرع عقبة إلى المغرب وبادر على الفور باعتقال أبي المهاجر وأبسه الحديد، وخرب مدينته وأعاد إعمار القيروان، حيث انتهج عقبة بن نافع سياسة مخالفة لسياسة أبى المهاجر السلمية التي أثمرت نجاحا باهرا بكسب بربر أوربة إلى الإسلام، فأساء إلى البربر. [7]وزعيمهم كسيلة، فقد أذله كثيرا إذ أمره

---

[1] عثمان الكعاك: **البربر**، ط1، تامغناست للنشر، تونس، ج2، ص 60.

[2] حمداوي جميل: **الديانة عند الأمازيغيين**، ط1، شبكة الألوكة، 2014، المغرب، ص04.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 227.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 94.

[5] ابن أبي الزرع: **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار الطباعة والمورقة، الرباط، ص 16.

[6] سعد زغلول عبد الحميد: **المرجع السابق**، ج2، ص 64.

[7] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 267.

أن يذبح الغنم وسلخها لإطعام جيشه مستخفا به[1] وما اتفق عليه المؤرخون أن أبا المهاجر دينار أطلعه أن كسيلة من كبار زعماء البربر وأنه حديث العهد بالإسلام والأفضل الإحسان إليه والتقرب منه بدل معاداته[2].

عندما أمن عقبة بن نافع استقرار الأوضاع في القيروان، رأى أن يبت فتوح المسلمين في أفريقية مرة أخرى، فجهز جيشا تراوح عدد أفراده بين 10 و 15 ألف جندي[3] و أخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان[4]، و خرج للغزو و فتح المناطق غير الخاضعة للمسلمين، حيث زحف على مدينة الجريد[5] و فتحها فتحا للمرة الثانية كما فتح حصن لميس و مدينة باغاي، ثم تابع تقدمه غربا نحو الزاب[6] و اصطدم مع الروم في وادي المسيلة[7]و هزمهم،[8] و تقدم نحو تيهرت فهزم جموع البربر من زناتة [9]و مكناس و هوارة و غيرها، و لما اقترب من المدينة استغاث البربر بالروم الذين أسرعوا لنجدتهم وقام الروم بتحالف مع البربر[10] و لما سمع عقبة عن كثرة العدو وقف خطيبا في صفوف الجيش، و اشتبك المسلون و الروم في معركة حامية الوطيس انتهت بانهزام

---

[1] **سعد زغلول عبد الحميد**: المرجع السابق، ج2، ص 72.

[2] **حسين مؤنس**: **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، دار الزهراء للإعلام، القاهرة، 1987، ص 55.

[3] حسين مؤنس: المرجع نفسه: ص 57.

[4] **زيتون مُحَمَّد مُحَمَّد**: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988، ص 30.

[5] **الجريد منطقة جنوب تونس** ،ينظر:مُحَمَّد الهادي الشريف: **تاريخ تونس**، تعريب مُحَمَّد الشاوش، ط3، دار ساراس للنشر، تونس، 1993، ص 88.

[6] **الزاب** هو منطقة غرب جبال الاوراس وقاعدته طبنة (بريكة)،ينظر:مُحَمَّد الهادي الشريف: المرجع نفسه، ص 93.

[7] **المسيلة**: ذكرها ابن خلدون ''**من فروعه جبل القلعة وهو جبل رفيع قمته مربعة في سطحها ديار كانت لأحد رؤساء زناتة ثم صارت إلى بعض رؤساء المغرب**، ينظر:ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص200.

[8] **حسين مؤنس**: المرجع نفسه، ص108.

[9] **حسين مؤنس**: المرجع نفسه، ص108.

[10] **سعد زغلول عبد الحميد**: المرجع نفسه، ج2، ص89.

الروم و انكسارهم، و حاول هؤلاء الانسحاب مع حلفائهم من البربر إلى الداخل تيهرت، لكن قطع المسلون الطريق عليهم و قتلوا كثيرا منهم و غنموا أموالهم و سلاحهم[1].

وبعد أن وصل عقبة إلى سبتة ثم مرتفعات الأطلس وتافلالت، اندفع نحو الغرب مخترقا قبائل صنهاجة ثم سوس[2] ليجد نفسه مواجها محيط الأطلسي وأثناء عودة عقبة بن نافع اشتبك مع كسيلة البربري في معركة مفاجئة قرب وادي الأبيض حيث سقط شهيدا سنة 65هـ مع أبي المهاجر[3].

فولى بعد استشهاد عقبة الفتح ،زهير بن قيس البلوي، حيث تمكن من القضاء على كسيلة عام 67هـ و استطاع في نفس العام من هزيمة الأسطول البيزنطي و إجلائهم عن السواحل المغربية كما شهدت هذه المعركة استشهاد القائد زهير بن قيس البلوي[4]،

بعد استشهاد زهير أرسل حسان بن النعمان في سنة 72هـ-85هـ/691م-704م دخل حسان المغرب مع أربعين ألف جندي إلى مناطق الأوراس و جبال الونشريس، وبذلك أسلمت قبائل المغرب، و قد نجح حسان بن النعمان في مهمته و ذلك باتباع سياسة الملاينة مع الحزم بعد الحرب، كما عمل على نشر العقيدة الإسلامية و بناء المساجد، و ظل حسان قائدا مخلصا على بلاد المغرب الإسلامي إلى أن أعفي من منصبه سنة 85هـ/704م، و جاء موسى بن نصير على رأس جيش إلى المغرب، سنة 85هـ-95هـ/704م-714م لم يجد صعوبة في إخضاع البربر وذلك أن الحملات السابقة مهدت له الطريق[5].

---

[1] **عبد العزيز الشهبي**: المرجع السابق، ص13.

[2] **سوس**: هي قرى كثيرة، وعمارتها متصلة ببعضها البعض وبها الفواكه الخليلة جناس مختلفة، **ينظر**: **ابن الخطيب**: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح: احمد مختار العبادي، درا الكتاب، دار البيضاء، 1964، ص2.

[3] **عبد الله العروي**: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، 1996،ص98.

[4] **محمد على دبوز**: المرجع السابق، ج1، ص 129.

[5] **عبد الله العروي**: المرجع السابق، ص 42.

يمكن القول إن الفتوحات في بدايتها كانت تتم بنوع من الحذر والهيمنة عليها الحملات الاستطلاعية لقلة المعلومات المتوفرة عن المنطقة من جهة ،وكذلك لعدم وجود قيادات عسكرية لامعة في قيادة هذه الحملات، كما كان لردود الفعل المحلية دورها في إضعاف الفتوح واتصال الإسلام بالبربر، كانت هناك علاقات ناجحة في عهد أبى المهاجر لكن تلاشت مع قدوم عقبة بن نافع إلى المغرب في عهد يزيد ين معاوية وإساءته إلى البربر وزعمائهم

فتحولت العلاقات بين الفاتحيين والبربر من سيئة الى اسوء ثم بعد ولاية عقبة للمرة الثانية عادت العلاقات الطيبة بين الفاتحيين والبربر، ودلك عند تسلم حسان بن النعمان مسؤولية إتمام الفتح حيث انتهج نفس سياسة ابي مهاجر.[1]

[1] **عبد العزيز الشهبي** : المرجع السابق،ص-ص19-21.

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الولاة

أن فترة تبعية المغرب للخلافة الاموية وبعدها العباسية في عصر الولاة والتي تمتد من سنة 96هـ/715م إلى سنة 184هـ/800م من أهم الفترات، وقد اختلفت هذه الفترة عن سابقاتها، لأن فترة الفتح يغلب عليها النشاط العسكري، واتسمت بالامتداد والانحسار، والخوف والاضطرابات، ولم يعرف المسلمون شيئا من الاستقرار بالمغرب إلا بعد تأسيس مدينة القيروان، على يد عقبة بن نافع ثم كان لهم الاستقرار بفضل جهود زهير بن قيس وحسان بن النعمان وموسى بن نصير[1].

و قد اتسم عصر الولاة بسمات و صفات معينة فهو عهد الاستقرار الإسلامي على أرض المغرب وعهد انفصال المنطقة عن الخلافة في أواخر عهد الولاة، وما ترتب على ذلك من علاقة بين الخلافة والولاة، فضلا عن علاقة الولاة بسكان هذه البلاد يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية المختلفة التي ترتبت على هذه العلاقات حيث ثار المغرب الأقصى و انفصل عن الخلافة ثم انتقلت عدوى الثورة إلى المغرب الأوسط، و بدلت الخلافة العباسية جهودا كبيرة و أموالا كثيرة و رجالا كثيرين، في سبيل الحفاظ على هذه الأقاليم، و لكن الأمور أسفرت عن قيام دول مستقلة في المغربين الأوسط و الأقصى، و سلطة إسمية للخلافة في المغرب الأدنى[2].

ومن أهم الولاة في العصر الأموي الذين كانت لهم سيادة في المغرب الأوسط وكانت لهم علاقات مع سكان المنطقة وقبائله نجد:

---

[1] **عمر فروخ**: العرب والإسلام في الخوض الغربي من البحر المتوسط من الفتح المغربي والأندلس إلى أخر عصر الولاة، ط1، دار المعارف،بيروت،1959،ص88.

[2] **عمر فروخ**: المرجع نفسه، ص91.

مُحَمَّد بن يزيد: حيث استشار الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فيمن يصلح به من صفات الفضل والحزم، فوقع عليه اختيار الخليفة سليمان بن عبد الملك، ومنحه ولاية المغرب وأوصاه بقوله "يا مُحَمَّد بن يزيد، اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيمن وليتك بالحق والعدل..."، فعمل مُحَمَّد بهذه الوصية منذ توليه المنصب[1].

استقر بالقيروان، فأقام سياسة العدل بين سكان هذه البلاد، وسار فيهم بأحسن سيرة، ثم عمد إلى تجديد النشاط العسكري ونجح فيما ذهب إليه وحقق أمن والاستقرار، وظل مُحَمَّد بن يزيد واليا على المغرب حتى وفاة سليمان بن عبد الملك، فعزل من ولايته بعد أن قضى بها سنتين من العطاء والفتح والإحسان إلى الرعية[2]. خلفه الوالي المعروف باسم((إسماعيل بن عبد الله)) 100هـ-101هـ/718م-719م اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز لصفاته الحسنة وسمعته الطيبة، لتولي هذا المنصب في سنة 100هـ/718م وبعث معه مجموعة من التابعين، لمعاونته في نشر الإسلام وتعليم الناس قواعده وقد أثمرت سياسة إسماعيل الطيبة بين الرعية في إقبال البربر على اعتناق الدين السلامي وأسلم جميع البربر في أيامه[3].

لذا أشار كثيرا من المؤرخين إلى الدور الإيجابي الذي قام به إسماعيل بن عبد الله في تعليم البربر أمور الدين و القرآن و قواعد الحلال و الحرام، و قد عزل إسماعيل بن عبد لله من منصبه عقب وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز فتولى يزيد بن أبي مسلم ولاية المغرب خلفا له[4]، حيث تولى مقاليد الأمور فيها و تابع سياسة الشدة و الحزم تجاه أهل المغرب، مثلما اتبعها مع أهل العراق من قبل،و فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة ليزداد الدخل المالي في خزينة الدولة،

---

[1] **عبد الله العروي**: المرجع السابق، ص59.

[2] **عبد الله العروي**: المرجع نفسه، ص 61.

[3] -**نجيب زبيب**: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،ط1،دار الأمير، بيروت،ج1995،2،ص76.

[4] **عمر فروخ**: المرجع السابق، ص 90.

كما أنه خص طائفة من قبيلة "البتر"[1] البربر بحراسته دون غيرها، وأساء إلى آل موسى بن نصير و بعض الشخصيات المقيمة بالقيروان، فأثار ذلك حفيظة بعض حرسه من غير البتر و قتلوه[2].

بعد مقتل ابن أبي مسلم، تحرك بشر بن صفوان تجاه المغرب في أواخر سنة 102هـ/721م، وبدأ أعماله بالتحقيق في مقتل ابن أبي مسلم، وقام بحملة بحرية على جزيرة صقلية كان سياسته مختلفة عن سابقيه حيث عامل الرعية بعدل ومساوات، لكن مرض عقب عودته من هذه الغزوة ومات في العام نفسه[3].

ارسل بشر بن صفوان بعد وفاته عبيدة بن عبد الرحمان السلمي، حيث وصل على رأس حملة بحرية إلى صقلية، لكن الحملة فشلت وغرقت معظم سفنها[4]، فتوجه إلى مقر الخلافة وطلب إعفاءه من منصبه.

تولى بعد "عبيدة" الولاية عبد الله بن الحبحاب وصل إلى المغرب سنة 116هـ/734م وبدأ ولايته بتجهيز حملة بقيادة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وبعث بها لفتح بعض المناطق، لتأمين الأقاليم الإسلامية بالمغربين فتوغلت هذه الحملة حتى وصلت على السوس الأقصى[5] وارض السودان و حققت هذه الحملة التي خرجت من أجلها وقد انتهج عبيدة الله سياسة مغايرة لسابقه فأسرف في جمع الأموال مستخدما القسوة و شرع في تخميس البربر، أي اعتبر من اسلم منهم ومن لم يسلم فيئا للمسلين، بخلاف ما اعتاد عليه البربر، كما انه أذكي نار العصبية القبلية

---

[1] **البتر**: من نسل قسيس عيلان وهي قبيلة مصرية من عر الشمال، ينظر: لابن خلدون، المصدر السابق، مج2، ص 12.

[2] **عمر فروخ**: المرجع نفسه، ص 92.

[3] **عبد الله العروي**: المرجع السابق، ص 123.

[4] **السلاوي**: المصدر السابق، ص 201.

[5] **سوس الأقصى**: إقليم واسع خصيب في جنوب مدينة مراكش وهو الإقليم الواسع الذي يشمل الأطلس الكبير ويمتد جنوبا: ينظر: ابن الخطيب، المرجع السابق، ص 03.

حيث حابى أبناء قبيلته من القيسية و أساء معاملة اليمنية و غيرهم فكانت النتيجة أن قامت الثورات وفي أقاليم المغرب و دخل البربر في صراع مسلح مع ولاتهم من العرب[1].

وقد ترتب على ذلك انفصال المغرب الأقصى عن السطلة في دمشق، حيث اختارا، الخليفة "كلثوم بن عياض القشري" لتولية مقاليد الأمور بالمغرب، و مواجهة الأحداث الخطيرة التي نشبت على أرضه، توجه على رأس جيش كبير تعداده سبعون ألف مقاتل إلى هذه البلاد، ودعمته الخلافة بكل ما يحتاجه، حيث دخل في معارك شرسة مع البربر، انتهت بمقتل العديد من العرب واستشهاد قائد الحملة "كلثوم بن عياض"[2]، جاء بعد وفاة كلثوم ((حنظلة بن صفوان الكلبي)) حيث كان واليا على مصر وله خبرة كبيرة، فضلا عن إلمامه بأخبار المغرب و أوضاعه بحكم الجوار بين مصر والغرب، توجه حنظلة إلى المغرب سنة 124هـ/742م على رأس جيش بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل استطاع حنظلة تحقيق الأمن و الاستقرار في النفوس بعد انتصار جيش الخلافة[3]، لكن واجهت حنظلة مشاكل كان من أهمها نزول "عبد الرحمان بن حبيب" أحد زعماء العرب عل شواطئ تونس قادما من الأندلس و قد استغل هذا الرجل اضطراب الأوضاع في دمشق و ضعف والي القيروان حيث سعى إلى الاستيلاء على القيروان، و حاول حنظلة معالجة الأمور بطريقة ودية خوفا من سفك الدماء لكن فشل و انتهى به الأمر إلى مغادرة البلاد، و تعين عبد الرحمان بن حبيب واليا على المغرب[4].

---

[1] **عبد الله العروي**: المرجع نفسه، ص 182.

[2] **محمد الغرايب**: الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية حالة كسيلة والكاهنة، ط1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص 200.

[3] **عبد الله العروي**: المرجع السابق،ص92.

[4] **حسن مؤنس**: المرجع السابق، ص 98.

استقر عبد الرحمان بن حبيب بالقيروان في سنة 127هـ وعمل على الاستقلال بالمغرب فواجه العديد من ثورات البربر ولكنه تمكن من التغلب عليها وهاجم معاقلهم، وقضى على تجمعاتهم[1].

فلما قامت الدولة العباسية، أسرع عبد الرحمان بن حبيب بالخطبة للعباسيين على المنابر، وأرسل لهم مبايعته وطاعته، فرحب به الخليفة العباسي أبو العباس السفاح وأقدره على ولايته، لكن الأمور تغيرت في عهد أبي جعفر المنصور، الذي تولى الخلافة سنة 136هـ/754م حيث توترت العلاقات بين الخليفة وعم الرهان فخلع عبد الرحمان طاعة العباسيين واستقل بحكم إقليم المغرب الأدنى والأوسط[2].

ولقد حاول عبد الرحمان نقل ولاية العهد من أخيه إلياس إلى ابنه حبيب فدبر له إلياس مؤامرة انتهت بقتله في سنة 137هـ/ 754م ومن ثم ثارت جموع البربر وعادت الاضطرابات إلى المنطقة الثانية[3].

تمكن إلياس من إحكام السيطرة على القيروان إلا أن حبيب بن عبد الرحمان دخل في صراع طويل معه و انتهى بقتله سنة 138هـ/755م، دخل حبيب في حروب مع قبيلة ((رفجومة)) البربرية، لكنهم هزموه، فاظفر إلى الفرار، و دخل عاصم بن جميل إلى اللجوء و الاستنجاد بالخلافة العباسية ولجأ آخرون إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن سمح المعاقري و كان أحد وجوه العرب، و يعتنق المذهب الإباضي، فهب لنجدتهم، و جمع من حوله من البربر المعتنقين لآراء

[1] عبد الله العروي: المرجع نفسه، ص 98.

[2] محمد الغرايب: المرجع السابق، ص 203.

[3] عبد لله العروي: المرجع السابق، ص 100

الإباضية و آثار فيهما الحمية، ثم خرج بهم لملاقاة قبيلة ((رفجومة)) فاستولى على طرابلس ثم القيروان، و تمكن من القضاء على عاصم و قبيلته[1].

حين علم الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور بما حدث ببلاد المغرب، عين مُحَمَّد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي على ولاية مصر وأمره بمعالجة الأمر بالمغرب، فاضطر ابن الأشعث إلى الخروج بنفسه إلى مواجهة الإباضية واستطاع من فعل ذلك حيث نجح في قتل أبي الخطاب وأتباعه سنة 144هـ/761م لكنه أساء إلى جنده وهذا ما جعل الجند يثورون عليه وأجبروه على التخلي عن الولاية[2].

بعد عزل مُحَمَّد بن الأشعث خلفه الأغلب بن سالم التميمي، وذلك لحزمه وشجاعته وسدادة رأيه، فدخل القيروان في سنة 148هـ/756م، وبلغه احتشاد البربر بقيادة أبي قرة بن دوناس الخارجي في تلمسان للتوجه إلى القيروان[3].

فخرج الأغلب بجنوده لملاقاتهم ولكنهم انسحبوا إلى المغرب الأقصى دون قتال فانتهز الحسن ابن حرب الكندي خروج الجيش من القيروان واحتلها، فلما علم الأغلب بذلك دخل مدينة "قابس" استعدادا لطرد الحسن بن حرب الكندي، فدخل معه في معركة حامية واستشهد الأغلب فيها ولكن جيشه صمد وتمكن من قتل الحسن بن حرب وهزيمة جيشه[4].

بعد مقتل الأغلب خلفه عمر بن حفص وكان قائدا شجاعا ذا شخصية قوية، فدخل مدينة القيروان في سنة 151هـ/768م ،وانتهج سياسة جديدة اتجاه أهلها وعاملهم بالحسنى وتودد إلى زعمائها وأنذرهم منازلهم فاستقرت له الأوضاع وهدأت أحوالها وبنا صورها ،ففجأته جموع البربر

---

[1] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 81.

[2] مُحَمَّد الغرايب: المرجع نفسه، ص 208.

[3] السلاوي: المصدر السابق، ص 200.

[4] عبد الله العروي: المرجع السابق، ص 118.

وحاصرت مدينة القيروان فتمكن من التخلص من هذا الحصار لكن إباضية طرابلس بزعامة أبي حاتم كانوا قد أحكموا حصارها وسيطرتهم على القيروان وضلوا كذلك ثمانية أشهر، فساءت الأوضاع في المدينة حتى سنة 154هـ/771م[1].

بعد استشهاد ابن حفص خلفه يزيد ابن حاتم حيث وصل إلى المغرب 154هـ/771م فانضمت إليه فلول الجند المنهزمة أمام أبي حاتم وتم اللقاء بين الجيشين العباسي والإباضي بقيادة أبي حاتم سنة 155هـ/772م فانهزم حاتم وقتل ودخل يزيد القيروان وبث الطمأنينة في نفوس أهلها، واستطاع في ذلك الوقت عبد الرحمان بن رستم من إنها ء تبعية المغرب الأوسط للخلافة العباسية، ومن امتيازات الولاة في القيروان[2].

وهكذا نلاحظ أضطراب الأوضاع في المغرب بسبب أنهيار الامويين وقيام العباسيين وكذلك بسبب تنافس القادة العسكريين العرب فيما بينهم وبسبب السياسة العصبية بين القيسية واليمنية وكل هذه العوامل جعلت العلاقات بين المشرق والمغرب علاقات مضطربة طيلة النصف الأول من القرن الثاني الهجري إلى أن قامت الدول المستقلة كالمدراريين 140هـ والرستميين 160هـ والأدارسة 170هـ والأغالبة 184هـ.

[1] السلاوي: المصدر نفسه، ص 202.

[2] أحمد مختار: المرجع السابق، ص 170.

الفصل الثاني

العلاقات الخارجية للدولة الرستمية

تعتبر الدولة الرستمية أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في بلاد المغرب، وأصبحت لها منذ إعلان قيامها 160هـ شخصية الدولة ذات سيادة على مواطنيها وأراضيها، وأصبح من الضروري أن تكون لها علاقات خارجية وذلك من أجل الاستفادة، حيث أتاحت لهم هذه العلاقات مزيدا من لإحتكاك السياسي والعسكري، وقد تنوعت هذه العلاقات بقوة وضعف وصداقة وعداء بحسب موقف هذه الدول من الرستميين[1].

المبحث الأول: علاقة الرستميين بدولة الأغالبة والأدارسة

1. علاقة الرستميين بالأغالبة:

تعتبر دولة الأغالبة الجارة الشرقية للدولة الرستمية، لهذا قرر الرستميون إتباع مبدإ سياسة التعايش السلمي معهم، في أغلب الأحيان وهذا راجع لما أملته عليهم الظروف الخارجية والداخلية[2].

حيث نجد أنه عقد أول اتفاق لتقرير مبدإ التعايش السلمي بين الدولتين سنة 197هـ/813م، وذلك حين ضطر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى اصطدام مع الأغالبة دفاعا عن مواطني دولته من قبيلة هوارة، وجاءت نصوص هذا الاتفاق على مراعاة المصالح بين الطرفين، وذلك للاحترام كل طرف لحدود الآخر، ومراعاة كذلك لظروفهما الخارجية[3].في إطار مبدأ التعايش السلمي بين الدولتين نجدهم قد اتحدوا لمواجهة العباس بن أحمد بن طولون، وذلك عندما هدد حدود الدولة الرستمية ودولة الأغالبة سنة267هـ/880م [4].

كما أن سياسة التعايش السلمي أملت على الرستميين الدفاع عن أنفسهم وهذا بالقوة تارة، وفي الاشتراك معهم في الدفاع عن الحدود تارة أخرى، حيث أن أطماع الأغالبة أملت على

---

(1)- محمد عيسى الحريري : المرجع السابق، ص187.

(2) – محمد عيسى الحريري: نفسه، ص197.

(3) - إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص211.

(4) – جودة عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ص79.

الرستميين الدفاع عن أنفسهم ضد الأغالبة وأطماعهم، وهذا ما تجلى في أحداث 239هـ، حينما رأى أحمد بن الأغلب بناء مدينة العباسية [1]، بالقرب من تيهرت، حيث أدى هذا إلى المساس بمبدأ التعايش السلمي، والمساس بمصالح الحيوية للرستميين، وهذا لكون أن المدينة الجديدة كانت تؤثر على التجارة، والاقتصاد الرستمي، كما أعتبر تهديدا عسكريا لتخاذها قاعدة عسكرية أمامية للهجوم على تيهرت[2]، وهذا ما دفع الإمام أفلح إلى تخريبها وحرقها[3]، فضلا عن إستغلال الرستميون لهذه المناسبة لتقرب من الأمويون في الأندلس، هذا ما انعكس في الهدية التي أرسلها عبد الرحمن الأوسط[4]بن هشام إلى الإمام أفلح[5].

كما انتهج الأغالبة أساليب متنوعة ضد الرستميين كان من أبرزها تشجيع القلاقل والخلافة الداخلية حيث ساعدهم في ذلك وجود جالية لها الحق في اللجوء السياسي، حيث كان لهم دور في إثارة الشغب في عهد أبي بكر بن افلح 258هـ-261هـ، وذلك لما حرض خَلف مَولي الأغلب بن سالم سكان تيهرت متخذا في مقتل إبن عرفة [6] ذريعة في ذلك، حيث استمرت هذه الحركة أعوام حتى قضى عليها أبو اليقظان 261هـ -281هـ خليفة أبي بكر[7]، للقضاء عليهم فما بعد، كما قام الأغالبة بقتل رجال نفوسة وذلك في عهد إمامة ابي حاتم الذي خلف والده أبا

---

[1]- المدينة العباسية : **بنيت على يد مُحَمَّد بن أغلب 226-232هـ، قرب مدينة تيهرت سنة 227هـ، وهو نفس الاسم الذي أطلقه إبراهيم بن الأغلب على المدينة التي بناها جنوب مدينة القيروان سنة175هـ نسبة لبني العباس**. للمزيد ينظر: البلاذري: **المصدر السابق**، ص328.

[2] – جودة عبد الكريم يوسف :المرجع السابق: ص90.

[3] - البلاذري: المصدر نفسه، ص228.

[4] – عبد الرحمن الأوسط: **هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام رضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ويعرف بعبد الرحمن الأوسط رابع خلفاء بني أمية بالأندلس تولي الحكم سنة (206هـ) توفي سنة 238هـ** ينظر :ابن الآبار :المصدر السابق،ج1،ص- ص 113،119.

[5] - فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد: المرجع السابق، ص 7.

[6] - إبن عرفة: **هو شخصية قوية تصاهر مع الإمام أبي بكر، وكان يتمتع بنفوذ قوية في الدولة الرستمية، وشغل منصب وزير، أُرسل إلى أدغال إفريقيا، وعجب بجماله وفروستيه من قبل احد ملوك الممالك الإفريقية** . للمزيد ينظر: إبن الصغير: المصدر السابق، ص31.

[7] - إبن الصغير : المصدر نفسه، ص41.

اليقظان، واختلف المؤرخون في أسباب هذه الحملة سنة 283هـ، وذلك لما صطدم إبراهيم بن الأغلب[1]، بقبيلة نفوسة التي كانت من رعايا الرستميين عند موضع قصر "مانوا" حيث انهزم النفسيون شر هزيمة ومات عدد كبير من رجالاتها[2].

إن الأغالبة حرصوا كل الحرص على مقاطعة الرستميين تجارة وثقافة، وهذا ما يشير إلى وجود القليل من هذه العلاقات، التي كانت تقوم بصورة غير رسمية على مستوى الشعبي، حيث نجد في مدينة طرابلس التي كانت تخضع لحكم الأغالبة من جهتها الشمالية، وإلى الرستميين من جهة الأخرى تشهد تبادل تجاري وكما يقول مُحَمَّد عيسى الحريري ناقلا عن ابن سعيد إبن سعيد" .... ومن جبل نفوسة تمتاز طرابلس بأنواع الخيرات"[3]، كما كانت هناك علاقة ثقافية، وهذا ما نجده في انتقال العلماء الذين انتقلوا إلى القيروان بغية تحصيل العلمي، ومن أبرز هؤلاء العلماء بكر بن حماد[4] بن سهل بن أبي إسماعيل تيهرتي، الذي ذهب إلى البصرة 217هـ، ثم عاد إلى القيروان

---

(1) – إبراهيم بن الأغلب 261هـ-279هـ: **من أمراء الأغالبة أصحاب إفريقية، عرف بالحزم ورجاحة العقل، حدثت في عهده ثورات عدة قمعها كلها**. للمزيد ينظر: فراس سليم حياوي: المرجع السابق، ص7.

(2) – محمود إسماعيل : **الأغالبة و سياستهم الخارجية (184–296هـ)**،ط02، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،2000، ص- ص106-107.

(3) – مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص200.

(4) – بكر بن حماد: **أبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي التيهرتي، رحل إلى المشرق سنة 217هـ، وهناك إكتسب الكثير من العلم، وهو فقيه من أفاضل المغرب عالما بالحديث ورجاله**. للمزيد ينظر: ناصر بوصوري وبلقاسم ماليكة: مقاربة أسلوبية لمرثية بكر بن حماد التيهرتي، **مجلة الأثير**، العدد 25، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، جوان 2016م، ص- ص 1-8.

239هـ، فأخذ فيها عن عون بن يوسف [1] وعاد بكر بن حماد إلى تيهرت وله شعر ذكره كثير من المؤرخون[2].

2) علاقة الرستمين مع الأدارسة:

إن مملكة الأدارسة في فاس ماهي إلا الجزء الثالث اللوحة الثلاثية في شمال إفريقيا (الأغالبة وتهيرت والأدارسة في فاس)، حيث تعد دولة الأدارسة الجارة الغربية للرستميين، وهذه الدولة تضم إقليم المغرب الأقصى بأكمله، هذا الإقليم يحده من الشرق وادي ملوية وإقليم تازا وهما يمثلان خط الحدودي مع الدولة الرستمية، ومؤسس هذه الدولة هو؛ إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي قدم إلى بلاد المغرب بعد فراره من معركة الفخ[3].

دولة الأدارسة دولة علوية من نوع المعتدل، والتي أرائها قريبة من أهل السنة[4]، لهذا أطلق عليها إبن عذراي الدولة الهاشمية، وهذا طبيعي لأن الدولة الإدريسية ظهرت فجأة دون دعاية سابقة كتلك التي مهدت للدولة العباسية من قبل والدولة الفاطمية من بعد، وبناء على هذا فإنها لم تقم على مبادئ سياسية دينية، وإنما قامت على أكتاف رجل واحد يمثل هيبة الأسرة العلوية العظيمة ومناقب أهل البيت[5].

---

[1] -أبو مُحَمَّد عون يوسف الخزامي: **رجل صالح فقيه مات سنة 239هـ**، ينظر: المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص385.

[2] -جورج مارسية :**بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف، د.ت،ص135.

[3] -موقعة الفخ :**حادثة وقعت فيها إبادة جماعية للشيعة هدا بسبب ثورتهم وعنفهم بسبب الحسن بن على بن الحسن بن على بن ابى طالب بالمدينة يكفل آل البيت بعد أن سكن الحسن بن مُحَمَّد بن عبدالله بن حسن حده والى المدينة فغضب وفقدوه وكان الحسن كفيله فوقع القتال بعد أن تجهز العلويين ومضوا إلى مكة ولتقوا بجيش العدو فكانت موقعة فخ بقرب مكة** . للمزيد ينظر: لعويجي خميسي: **السياسة الداخلية والخارجية للدولة الرستمية في المغرب الأوسط 160هـ –296هـ وآثارها الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي**، جامعة الحنان، لبنان، 2009م،ص 200.

[4] – سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص380

[5] – سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص423.

ومما دعم علاقة حسن الجوار هو عدائهم للعابسين، كما كان يرى الأدارسة أن الدولة الرستمية تعتبر الحارس الأمين لحدودهم الشرقية، وذلك ضد الخطر العباسي ومن جهة أخرى الدولة الرستمية رحبت بالعلويين، الذين فروا من الخطر العباسي، كما يوجد فيهم من عاش في شمال تيهرت[1]، مما دعم العلاقات أكثر هو موقفهما في عداء الدولة العباسية [2] كما وجد الأدارسة في الرستميين الحاجز والحارس لحدودهم، مع الأغالبة وغيرهم من مؤيدي الخلافة العباسية، ولكي يصلوا إلى المغرب الأقصى يجب عليهم أن يمروا بالمغرب الأوسط، وهذا مالا تقبله الدولة الرستمية لأنها كانت تتمتع بسيادة على أراضيها، ومن جهة أخرى لم تكن العلاقة طيبة بين العباسيين و الرستميين وولاة إفريقية.

ويبدو أن لموقع الرستميين في المغرب الأوسط آثاره الكبيرة في الأساليب، التي اتبعها الخلافة العباسية لمقاومة الأدارسة، وذلك عند اغتيال إدريس الأول سنة 188هـ.[3]

أما في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن 171-207 هـ تعرضت العلاقة الإدريسية الرستمية إلى نوع من التعكر والقطيعة ونتجة لموقف نفزاوة وبني يفرن سكان تلمسان الخاضعين إلى نفوذ الأدارسة، الذي أفزعهم مقتل يزيد بن فنديين[4]، لهذا حاولوا إستغلال هذه الحادثة، والإستقلال بالأماكن التي يعيشون فيها من أراضي الدولة الرستمية، والعمل على ضمها للأدارسة لكن هاته المحاولات لم يكتب لها النجاح وتمكن عبدالوهاب من القضاء عليها[5].

كما أن الأدارسة كانوا يحاربون أصحاب النحل المتطرفة، مثل الخوارج وقاموا بالقضاء عليهم في دولتهم، وبالتأكيد كان لهدا العمل أثره على الدولة الرستمية ودولة بني مدرار كونهما من الخوارج

---

(1) – مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص204.

(2) – أحمد مختار: المرجع السابق، ص92.

(3) –ابن عذاري :المصدر السابق، ص37 .

(4) –**يزيد بن فندين زعيم النكاريين في الدولة الرستمية من بنى يفرن وهو فرع من زناتة التي ينتهي اليها معظم اهل المغرب الأوسط** ينظر :الشماخي :المصدر السابق، ص144

(5) – العبادي :المرجع السابق، ص227.

ولكن كان اكثر الخوارج تسامحا ولايرون إباحة دماء المسلمين، ولا سبى النساء بل قتال جيش السلطان الجائر[1].

المبحث الثاني: علاقة الرستميين ببنى مدرار والسودان الغربي .

أ – علاقة الرستميين ببنى مدرار في سجلماسة 140هـ–297هـ/707م–911م.

قامت في الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية دولة بنى مدرار بسجلماسة[2]، حيث تربطها علاقة قوية مع الرستميين كما ان بنى مدرار قاموا على أساس المذهب الصفري وهم والرستميون ينتمون الى المذهب الخارجي ولذلك إلتقت أهداف الدولتين معا وتوطدت بينهم أواصل المودة والصداقة [3]، كما يرجع المؤرخون العلاقة التي تربط الصفرية بسجلماسة بإباضية بتيهرت قبل إقامت الدولة الرستمية فالمذهب يعود تأسيسهما الى عبد الله بن إباض وعبد الله بن صفار وهما من قبيلة واحدة وهي قبيلة كعب بن تميم[4]، وقد كان معا في الإطار الخارجي قبل إنقسام الخوارج كما أن سلمة بن سعيد وعكرمة موالى العباس قدما على راحلة واحدة [5] .

كما أن حروب هؤلاء مع الخلافة ممثلة بولاية القيروان، خلفت نوعا من الإضطراب في منطقة المغرب الإسلامي، فيجتمعوا في جنوب المغرب الأقصى ويشتغلوا بأنفسهم [6]وسعت كلا الدولتين الى كسب إحترام الأخر، لأن المدراريين عقدوا حلفا ثنائيا بينهم وبين الرستميين وذلك من أجل تقارب زعماء الدولتين وإلتقائهما في الأهداف[7]،حيث ظهر هذا التقارب واضحا لما

---

[1] – العبادي، المصدر نفسه، ص228 .

[2]- سجلماسة :**مدينة في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منطقة جبل درنة وهي في وسيط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض، يربها نهر كبير يفيض، قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مدى البصر**، ينظر :ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج3،ص– ص 192–193.

[3] - عيسى الحريري :المرجع السابق، ص206.

[4] - عبد العزيز سالم :**المغرب الكبير**، دار القومية للطباعة والنشر،1966،ج2،ص572.

[5] - الذرجيني :المصدر السابق، ج 1،ص 11.

[6] -السلاوي :المصدر السابق،ج2،ص111.

[7] -عيسى الحريري :المرجع السابق،ص207.

تزوج المدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي حكم سجلماسة سنة 208هـ /723م، من أروى بنت عبدالرحمان بن رستم أول أئمة الدولة الرستمية، ويمثل هذا الزواج مدى التقارب بين الدولتين، حيث سعى اليسع إلى هذا الزواج رغبة منه لكسب حليف قوي يحميه، في حين كانت رغبة عبد الرحمان بن رستم في كسب اجداد الصفريين في صفه، حيث كليلا هذا الزواج بين أروى واليسع بولد إسمه ((ميمون))كان له دور كبير في تاريخ بنى مدرار وكذا في علاقته مع أخواله .ومما ذكرنا يظهر مدى قوة العلاقات السياسية بين الدولتيين الرستمية والمدرارية، مما أثر في تعزيز العلاقات الثقافية بينهم، حيث أن في مجال الجانب الثقافي غزا المذهب الإباضي أراضي دولة سجلماسة حتى أن بعض المؤرخون ذكروا أن المذهب الإباضي غزى فكر أئمة سجلماسة وعلمائها ومما وثق هذه العلاقات ودعمها هو أن كثير من رعيا الدولة الرستمية كانت تغشى دول سجلماسة وتعيش فيها كما قاما بذلك كثير من أهل سجلماسة فأقاموا بأنحاء الدولة الرستمية[1].

أما في الجانب الاقتصادي فقد نظر الرستميون الى دولة بنى مدرار على أنها معبر هام بنسبة الى بلاد السودان، ترتاح وتنتقل من خلاله قوافلهم التجارية و هذا يعني أنها تعد شريان الحياة لبنى رستم، وهذا الكلام دليل على أن العلاقات التجارية نشطة الى درجة كبيرة بين الطرفين، حيث كان للرستميين طريقين الى بلاد السودان وكان أحدهما يمر بسجلماسة الى غانا[2]، وقد أشار البكري الى هذا حيث قال ((...ومن مدينة سجلماسة تدخل الى بلاد السودان الى غانا وبينها وبين مدينة غانا مسيرة شهريين في الصحراء غير عامرة))[3]، وكانت القوافل التجارية الرستمية تغدوا ذاهبة راجعة بمنتوجات الى الدولة الرستمية ومن هذه المنتوجات الزراعية التي هي في

(1) - عيسى الحريري :المرجع نفسه،ص208.

(2) - غانا :**مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، يجتمع إليها التجار ومنها يدخل إلى المغازات إلى بلاد البتر ولولاها لتعذر الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عن بلاد السودان فمنها يتزم إليها**، ينظر :ياقوت الحموي :المصدر السابق،ج4،ص184.

(3) -البكري :المصدر السابق،ص149.

سجلماسة؛ ثمار شجرة التاكوت الذي يستخدم في دبغ الجلد الغدامسي[1]، وكذلك الذهب الذي كان يجلب من بلاد غانا ويأتي من ورائه غناء كبير وجاء على أثرة ازدهار الدولة الرستمية [2].

وعلى العموم لا بد من الإشارة بأن العلاقات الرستمية المدرارية في جميع مجالاتها (السياسية والتجارية والثقافية) وكانت في أعلى مستوياتها .[3]

ب – علاقة الرستميين بالسودان الغربي .

كانت علاقة الرستميين ببلاد السودان[4]في جملتها تجارية بحتة وذلك لسيطرة الرستميين على معظم الطرق التجارية والمنافد المؤيدة الى بلاد السودان الغربي[5]، وكان للرستميون عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان حيث كانت أول هذه القواعد، قاعدة ورجلان[6]، والتي كانت ترتبط ببلاد السودان إرتباطا وثيقا، قاعدة غدامس[7]،وهي تقع الى الجنوب من طريق التجارة الى بلاد كانم من بلاد السودان، أما القاعدة الثالثة والتي ذكرناها سابقا قاعدة سجلماسة والتي تعد نقطة انطلاق حقيقية لعدد كبير من القوافل عبر الصحراء الى

---

(1) -البكري :المصدر نفسه، ص- ص 152-153.

(2) - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 209.

(3) - فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :المرجع السابق،ص176.

(4) - بلاد السودان :**بلاد كبيرة تحدها أرض البربر من الشمال والبراري من الجنوب والحبشة من الشرق والمحيط من الغرب، هذه البلاد تتجه للمغرب لصعوبة إتصالها بأي منطقة أخر**، ينظر: فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد: المرجع نفسه، ص177.

(5) - عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص210.

(6) - وجلان: **كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجانة، وإسم مدينة هذه الكورة فجوهة**، ينظر :ياقوت الحموي :المصدر السابق،ج5،ص371.

(7) - غدامس :قال ياقوت الحموي فيها :**عجمية بربرية فيها أحسب، وهي مدينة بالمغرب في جنوبه ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زلفون، تدبغ بها الجلود الغدامسية وهي من أشهر الجلود، وفي وسطها عين أزلية وعليها أثار عجيب رومي يفيض الماء فيها**، ينظر :ياقوت الحموي :المصدر نفسه، مج 4،ص187.

بلاد السودان وكذلك تعتبر مدخل لبلاد غانة، ونجد قاعدة زويلة[1]وهي مدينة تمثل أول حد بلاد السودان حيث تخرج القوافل من مدن جبل نفوسة، وتتجه جنوبا نحو زويلة وهي طريق شاقْ يمر خلال الجبال والصحراء التي لا توجد فيها مياه [2] .

ومن أهم المنتوجات التي تحملها القوافل الرستمية الى بلاد السودان نجد الأكسية القطنية والكتانية وثياب الصوفية والعمائم والمآزر وأصناف من الزجاج، الزجاج الأزرق والأصداف والعطر المأخوذ من عقد خشب الصنوبر وتحمل النحاس الأحمر الملون والملح ...إلخ، حيث يعتبر الملح أهم هاته السلع إذ يتعامل به أهل السودان كقطع العملة ويقول ابن بطوطة ((...بالملح يتصارف أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقتطعونه قطعا))[3].

كما كانت هاته القوافل تعود محملة بالذهب الخام والعاج وريش، النعام وجلود الحيوانات وكان أهل ورجلان هم من يقدون هاته القوافل التجارية[4]، ومن أشهر الممالك بلاد السودان والتي كان لها علاقة وثيقة بالدولة الرستمية، مملكة كوكو[5]حيث ظهرت معالم هذه العلاقة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب 208هـ-258هـ الذي أرسل مُحَمَّد بن عرفة في سفارة الى ملك كوكو ومعه هديا فأعجب ملك كوكو بمحمد بن عرفة وبفروسيته وجماله [6].

---

(1) - زويلة :**بلدان أحدها زويلة السودان مقابلة أجدبية في البر بين بلاد السودان وإفريقية، قال البكري :((زويلة مدينة غير مورة في وسط الصحراء وهي أول حدود بلاد السودان وفيها جامع حمامات وأسواق تجمع فيها من كل جهة،** ينظر: ياقوت الحموي :المصدر السابق، ص- ص 159-160.

(2) - أبي عبيد البكري :المصدر السابق، ص- ص 8-10.

(3) - عيسى الحريري :المرجع السابق، ص- ص 210-211.

(4) -فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :المرجع السابق،ص177.

(5) -كوكو: **وهو أسم أمة وبلاد من السودان قال المهلي :كوكو من الإقليم الأول عرضها عشرة درج، ملكهم يظاهر رعيتهم بالإسلام، وتعتبر كوكو إحدى المماليك الخمسة التي تكونة منها مملكة مالي، كما قال فيها صاحب كتاب الإستبصار :((هي مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصي لهم عدد،** ينظر :ياقوت الحموي :المصدر نفسه،مج4،ص 495.أيضا ينظر :فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :المرجع السابق، ص177.وينظر :مؤلف مجهول :كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار: تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤن الثقافية،د.ن،د.ت،ص228.

(6) -فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :نفسه، ص177.

كما كان يرافق القوافل عدد من الفقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل البلاد وتركوا فيهم أثار بعيدة المدى حيث تعتبر جهود هؤلاء العلماء الأساس التي قامت علية دولة مالي وبتالي حملوا ألوان الحضارة الإسلامية الى بلاد السودان كما أن اللغة العربية إنتشرت بين ربوع هاته البلاد حيث كانوا يجيدون الحديث بها الى جانب لغتهم الخاصة وهذا راجع الى إنتشار الإسلام وكذلك لكونها لغة القرآن الكريم [1].

المبحث الثالث: علاقة الرستميين بالعباسيين والطولونيين .

1 – علاقة الرستميين بالخلافة العباسية في المشرق :

إرتبطت علاقة الرستميين الخارجية بالعباسيين بعاملين كانا ذا أثر كبير في طابع العداء الذي إتسمت به تلك العلاقة بحكم أن بنى العباس ينظرون الى الرستميين على أنهم خرجوا على الخلافة وإقتطعوا جزاء من ممتلكاتهم في المغرب وذلك لكونهم يعتبرون المغرب جزء من ممتلكاتهم التي ورثوها من الأمويين وهذا السبب الأول في العداء، أما السبب الثاني الذي أثر على العلاقة فهو الإختلاف المذهبي بين الخلافة العباسية السنية والدولة الرستمية الإباضية، حيث كان هذا العداء لما شن قائد جيوش العباسيين مُحَمَّد بن الأشعث، حرب ضد الرستميين والتي قتل فيها أبو الخطاب بن سمح المعافري سنة 144هـ وكذلك تتبع عبد الرحمان بن رستم وفشلة في قبض عليه[2].

ولما لم ينجح العباسيون في تتبع عبد الرحمان بن رستم رأو خطورة شخصية عبد الرحمان بن رستم وذلك لأنه قام بتوحيد سائر المعارضة من الصفرية حيث أن عمر بن حفص الذي تولى أمر المغرب سنة 151هـ/768م نجح في تمزيق هذا التحالف[3].

---

(1) -عيسى الحريري :المرجع السابق، ص- ص 212-213.

(2) - إبراهيم بكير بحاز: **الدولة الرستمية 160هـ-296هـ/777م-909م دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، منشورات وزارة الدينية والأوقاف،الجزائر،قسنطينة،2015، ص117.

(3) - إبن عذاري :المصدر السابق،ج1، ص- ص 75.76.

لكن بعد وفاة عمر بن حفص خلفه عل ولاية إفريقية يزيد بن حاتم 155هـ-170هـ والذي حرص على تحسين العلاقات بينه وبين الرستميين حيث طلب موادعة عبد الرحمان بن رستم وذلك في نفس السنة التي توفي فيها عبد الرحمان بن رستم 171هـ [1]حيث انه بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم، أرسل بن حاتم إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، طلب رواج إستمرار الموادعة فوافق عبد الوهاب على ذلك، وعلى العموم يمكن إعتبار طلب الوالي العباسي اعترافا رسميا من قبل العباسيين، بسيادة الرستميين على المغرب الأوسط[2]، ولكن الهدوء والسكينة في عهد عبد الرحمان وابنه عبد الوهاب مع بنى العباس قد تعكرت في عهد أفلح بن عبد الوهاب بسبب احتضان الخلافة لنفاث بن فهر، وهو ثائر قام بحركة ضد الإمام أفلح حيث نجد أن العباسيين قد رحبوا به وأعجبوا به كثيرا وهذا ما جعل العلاقة تسوء، لكون العباسيين إحتووا المعارضين للدولة الرستمية فكان سبب في توتر العلاقة بينهم بعد صفاء دام سنيين، وكذلك هناك حادثة ثانية تسببت في توتر العلاقة وهي القبض على مُحَمَّد ابن الأفلح الملقب بأبو اليقضان حيث زجى به في السجن وهذا لما كان في موسم الحج لما كان أبى اليقضان يؤدي مناسكه، مع العلم أن العلاقة تحسنت مرة أخرى حيث يذكر المؤرخون أنه كان مع أبي اليقضان أحد أخوان الخليفة الذي أمرهم بعد توليه الحكم بإطلاق سراحه وسماح له بعودة الى بلاده[3].

أما العلاقة الاقتصادية فقد تميزت بنشاط التجاري، حيث أنه كانت تأتي القوافل من البصرة وبغداد مرورا بالأنبار[4] وهيث[5] وحران[6] وطبرية والرملة والفسطاط[1] والإسكندرية ومنها الى

---

(1) - عيسى الحريري :المرجع السابق، ص- ص 188.189.

(2) - فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :المرجع السابق،ص169.

(3) - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص190.

(4) - الأنبار: **سميت بهذا الاسم لأن فيها جميع أنابير الحنطة والشعير**، ينظر :ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص 420.

(5) - هيث: **بلدة على الفرات فوق الأنبار**، ينظر :ياقوت الحموي: المصدر نفسه، مج5، ص 420.

(6) - حرّان: **بلد على طريق الموصل والشام والروم فتحت أيام عمر بن الخطاب**، ينظر: ياقوت الحموي، نفسه، مج2، ص235.

برقة وصولا الى حدود الدولة الرستمية، حيث العاصمة تيهرت والتي تعتبر ملتقي القوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات، بالمقابل كان للرستميون دورا بارز في التجارة ليس فقط في إهتمامهم بالطرق التجارية وإنما لكون الأئمة الرستميون في حد ذاتهم تجار حيث ساهموا في إنعاش إقتصاد المغرب، حيث أكد الشماخي هذه الحقيقة من خلال حديثه عن الإمام عبد الوهاب، كما أعتبر موسم الحج من وسائل الإتصال المهمة مع ديار الدولة العباسية حيث كانوا يتدفقون بقوافل لأداء فريضة الحج ولتبادل التجارة من جهة أخرى وهذا لتواجد سلع تتناسب وأذواق الحجاج الذين يأتون من كل بقاع الأرض، وبهذا كان لتبادل التجاري دور في إنعاش الحالة الاقتصادية للمغرب الأوسط[2].

أما فيما يخص جانب العلاقة الثقافية بين الدولتين فإنه كثيرا ما ذكرنا تفاصيل هذه العلاقة بين تيهرت والبصرة القريبة من بغداد، فعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بعث 1000دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا، فلما وصل لهم هذا المبلغ اشتروا له رفا فنسخوا له فيها وشمر هو الأخر وستعد لقرأتها، كما نجد أيضا أن نفاث بن فهر الثائر على أفلح عندما فرا الى بغداد أمضى وقته هناك في إستنساخ ديوان جابر بن زيد –عالم الإباضية المشهور —حيث كان ذلك الديوان موجود في خزانة الخليفة ولصلته الجيدة استطاع من اخد نسخة منه وحملها معه الى بلاد الغرب[3].

كما عرفت العلاقات الثقافية هجرة العلماء والأدباء من تيهرت الى البصرة في العراق وهذا ما تمثل في رحيل بكر بن حماد إلى البصرة سنة 218هـ/832م، حيث إستطاع بكر بن حماد التاهرتي أن يثبت وجوده في البلاط العباسي فاتصل بخليفة العباسي المعتصم بالله فمدحه[4].

---

(1) - الفسطاط: **مدينة تأسست في عهد عمر بن الخطاب في مصر**، ينظر: ياقوت الحموي، نفسه، مج4، ص- ص 461.466.

(2) - فراس سليم حياوي ومُحَّد عبيس حميد: المرجع السابق، ص180.

(3) - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص- ص 191.190.

(4) - عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص192.191.

2 – علاقة الرستميين مع الطولونيين في مصر :

سارت العلاقة بين الرستميين ومصر في طريق ودي إذ كانت مصر تمثل الجار الشرقي للدولة الرستمية والمنفذ الوحيد لهم إلى المشرق والعالم الإسلامي ولهذا حرص الرستميون أن تكون العلاقة مع مصر علاقة حسن الجوار، برغم من أن العلاقات السياسية كانت ضعيفة خلاف العلاقات التجارية والثقافية التي كانت قوية، ويرجع ضعف العلاقة السياسية لكون مصر تابعة للخلافة العباسية وتنتهج نفس نهج الحكومة في بغداد [1].

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي فإن مصر كانت تؤدي دور الوسيط في التجارة بين المشرق والمغرب، وقد كانت القوافل التجارية والحجاج تخترقها إلى المشرق والعكس، حيث سارة هذه القوافل بين الطريق التجاري الذي امتد بين مصر والواحات الغربية وبلاد المغرب[2].

وقد تولت قبيلة هوارة في شرق طرابلس وكذلك نفوسة هذه المهمة، فكانت تجوب الصحراء بين المدن الرستمية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط وبين مصر وقوافلها محملة بالسلع المصرية الرستمية، حيث كان لهذا الإختلاط دور في تبادل الثقافي والفكري بين المنطقتين[3].

وقد عرفت العلاقات الثقافية هي الأخرى نصيبا كبيرا من اهتمام المؤرخين، حيث نجد أن عددا كبيرا من المصريين اباضيين، بل كان هناك عدد كبير من بين هؤلاء الإباضية المصريين علماء لهم وزنهم عند الرستميين فكانوا مرجعا لهم في شؤونهم وفتواتهم ومن أبرز هؤلاء العلماء المصريين شعيب المصري[4]الذي قدم إلى تيهرت أيام الفتنة بين الإمام عبد الوهاب ويزيد بن فندين، حيث لم ينجح في تهدئة الأمور، فعاد إلى مصر لكن بعد أن إستطاع الإمام عبد الوهاب في القضاء على فتنة ابن فندين إستعان بخدمات أبا عباد المصري في الإفتاء وذلك لما أراد الخروج إلى الحج حيث

---

(1) - عيسى الحريري: نفسه، ص192.

(2) -فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد: المرجع السابق، ص181.

(3) -عيسى الحريري: المرجع السابق، ص183.

(4) - الدرجيني : المصدر السابق،ج2،ص66.

أن الإمام بعث يسأل أهل العلم في مصر فجاءته الفتوى من أبا الربيع بن حبيب، بأن يبعث من يحج مكانه لأن في ذلك خطر عليه وهو قائد مجموعة من المسلمين وأما أبا العباد فكانت شرط فتوته حتي تأمن الطريق فختار الإمام فتوتة أبا الربيع[1].

كما عرفت العلاقة بين الرستميين ومصر شيء من التوتر في عهد حكم الطولونيين 265هـ/878م ولكن الذي يفهم من أحداث هذا التوتر أن هذا العداء لم تكن سببه سياسية عدائية بل كانت دوافع شخصية بحتة تتصل بفتنة العباس بن أحمد بن طولون الذي خرج بحملة نحو برقة في بلاد المغرب، مستغلا خروج أبيه نحو الشام، حيث يرجع المؤرخون السبب في هذه الحملة في تحريض العباس بن طولون إلى الحكومة العباسية التي دبرت بعض رفقاء السوء الذين التفوا حول العباس بن طولون ودفعوه إلى القيام بهذا العمل، وهذا حتى يزرع الفوضى في الحكومة احمد بن طولون الذي قبل نقل الخلافة إلى مصر سنة 256هـ-279هـ [2].

ولكن عندما علم أحمد بن طولون بهذه التطورات الخطيرة عاد مسرعا إلى الفسطاط، وهذا حرصا منه على وضع حد لهذا التوتر الذي أحدثه إبنه، حيث قام بإرسال وفد كان على رأسه (أبو بكر بن بكار بن قتيبة)، ولكن هذا الوفد فشل في إعادته إلى مصر، لكن الهزائم التي لاحقت العباس من الرستميين والأغالبة أضعفت شوكته فلم يقوى على الصمود أمام الجيش الذي أرسله أحمد بن طولون لإعادة العباس، فتمكن هذا الجيش من هزيمة العباس وقبضوا عليه وأعادوه إلى مصر في شوال سنة 268هـ [3].

ومما تقدم يظهر أن أحمد بن طولون لم يكن راضيا على ما فعله إبنه ولم يكن يريد أن يفتح باب العداء مع المغرب، وخاصة وأن علاقته مع العباسيين ليست عل ما يرام، حيث يصف المغربي إبن سعيد النفسية السيئة التي كان عليها أحمد بن طولون، فيقول: ((وكان الناس يرون غمه أحمد

(1) - عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص 194.

(2) - عيسى الحريري :المرجع السابق، ص- ص 195.194.

(3) - فراس سليم حياوي ومُحَمَّد عبيس حميد :المرجع السابق،ص182.

بن طولون وذلك مما فعله به إبنه العباس ...حتى أوقع أثرا غليظا بينه وبين إبراهيم ابن الأغلب وإلياس بن منصور النفوسي (عامل الرستميين على جبل نفوسة).[1]

المبحث الرابع :علاقة الرستميين بأموي الأندلس .

قامت العلاقة بين الرستميين والدولة الأموية في الأندلس على أساس التحالف القوي المتين والصداقة المتبادلة حيث بدأت العلاقة بين الأمويين الممثلين في شخصية عبد الرحمان بن معاوية الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس وبين الرستميين في مرحلة مبكرة، حيث أنه لما لجأ عبد الرحمان بن معاوية فارا من العباسيين لجأ إلى المغرب الأوسط حيث وأقام بين بنى رستم الذين حافظوا عليه وأنجوه من الأخطار التي تعرض لها [(2)].

وعلى هذا فقد كان من الطبيعي أن يتألف أمراء بنى أمية في قرطبة [(3)]وبين الأئمة الرستميين في تيهرت حيث قامت العلاقة بين الدولتين على أساس الصداقة والتحالف والمودة، حيث كانا كلا الطرفيين أعداء الخلافة العباسية لذا حتمت عليهم الظروف في بعض الأحيان أمام العدو المشترك حيث لم يكن أمام الأمويين سوى المغرب الأوسط أين الدولة الرستمية، حيث أنه في المغرب الأذني قامت دولة الأغالبة الموالية للعباسيين، وفي المغرب الأقصى قامت دولة الأدارسة المختلفة مذهبا عن الأمويين، وعلى هذا الأساس قامت العلاقة القوية المتينة بين الدولتيين الرستمية والأموية على تحالف متين وصداقة متبادلة بحيث كانت تمثل الدولة الرستمية عصب الحياة للأمويين [(4)].

[(1)]– عيسى الحريري: المرجع السابق، ص196.

[(2)] - عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص214.

[(3)] - قرطبة : **وهي مدينة عظيمة في الأندلس وسط بلادها وكانت سرير ملوكها وقصبتها وبها كانت ملوك بنى أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام** .ينظر :ياقوت الحموي : المصدر السابق، مج 4،ص324.

[(4)] - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص569.

في إطار التعاون السياسي بين الدولتيين إرتبط كل منها بالأخر إرتباطا وثيقا فكان زعماء كل من الدولتيين تتابع نشاط الأخر بإعجاب بالغ، وإستقبل الرستميون كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تيهرت واستوطنوها، حيث أصبح منهم من عاون الأئمة في شؤن الإدارة والحكم حيث أشتهر من بين هؤلاء الذين قدموا الى بلاد المغرب الاوسط شخصيتان هما مروان الأندلسي ومُحَّد الأندلسي[1].

حيث أنه في سنة 207هـ/822م بعث عبد الوهاب بن عبد الرحمان أبناءه الثلاثة في سفارة رسمية إلى قرطبة عاصمة إمارة الأمويين، حيث استقبلوا استقبال مشهورا أنفق عبد الرحمان الثاني عليه مليونا من الدنانير[2].

وفي عهد أفلح بن عبد الوهاب نمت العلاقة الرستمية الأندلسية نموا مضطردا وكانت كلتا الدولتين تبلغ الأخر بانتصاراتها أولا بأول وتتبادل الهدايا فيما بينها في المناسبات، حيث أنه في سنة 227هـ/841م قام الأغالبة ببناء مدينة أمام تيهرت تسمى العباسية تؤثر على الحالة الاقتصادية لبلدين فقام أفلح بتهديمها وأخبر نظيره عبد الرحمان الثاني الذي أرسل إليه هديا قدرها المؤرخون بمئة ألف دينار، حيث أصبح تبادل التهاني أمر عاديا، فحينما هزم عبد الرحمان النورمانديين سنة 230هـ/844م بادر بإخبار حليفه الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، كما إستعانت الدولة الأموية في الأندلس بعدد من خبراء القادة الرستميين، فقد إستعان عبد الرحمان الثاني بالقائد الرستمي مُحَّد بن رستم والذي قضى على الثورة التي قام بها هشام الظراب بطليطلة سنة 224هـ /829م[3].

كما شهدت البلاد الأموية مجموعة من رجال السياسة من الرستميين الذي أدخلوا منصب الوزراء والحجاب في دولتهم حيث كان أبرزهم عبد الرحمان بن الحكم 206هـ الذي لم يكن

(1) - مُحَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص215.

(2) - فراس سليم حياوي ومُحَّد عبيس حميد: المرجع السابق، ص190.

(3) – عبد الكريم يوسف جودة: المرجع السابق، ص90.

للخلفاء بعده مثلهم ،كما أن الدولة الرستمية منحت بعض مواطني الدولة الأموية التي تختلف معها سياسيا ومذهبا حق اللجوء السياسي وأعطتهم كل ألوان الحماية كما أنها لم تسمح لهم بأي نشاط سياسي ضد حلفائهم الأمويين في الأندلس، وفي نفس الوقت منحت الدولة الرستمية حق الإستطان في أي وقت[1].

وكذلك لم تكن العلاقة السياسية كل ما يربط الأمويين بالرستميين في بلاد الأندلس بل قامت علاقة إقتصادية تجارية بنحو فريد من الدولتيين، وتمثل هذه العلاقات التجارية في تلك التسهيلات التي منحها الرستميون لتجار الأندلس، حيث قد فتحت أمام هؤلاء التجار الطريق إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وأنقذتهم بذلك من الحصار الاقتصادي الذي فرضه عنهم الأغالبة والأدارسة، كما أن الرستميون فتحوا لهم كل السبل، حيث فتحوا لهم ميناء تنس ومستغانم ووهران لإستقبال البضائع الأندلسية، كما قام الرستميون بدور الوسيط في نقل المنتوجات وتصريفها إلى بلاد السودان ومصر والمشرق العربي، حيث أصبح الاقتصاد الرستمي سندا للأمويين في عمليات التصدير والاستيراد وتزويدها بكل ما تحتاجه إليه من المصادر ونعكس هذا الإزدهار الاقتصادي على المدن والموانئ[2].

ومن الطبيعي أن يصاحب العلاقات السياسية والاقتصادية علاقات ثقافية، حيث كانت الدولة الرستمية تضمن التدفق الحضاري بين المشرق والبلاد الأندلس لذلك حرص الأمراء الأمويين في إستغلال هذا الجسر رغبة منهم في ربط إمارتهم البعيدة بتيار الخضارة الإسلامية في المشرق وكذلك عن طريق الرستميون إستطاع الأمويين الحصول على الكنوز المشرقية والعربية ومؤلفاتهم ومخطوطاتهم وكذلك علمائهم، وكذلك كان للرستميين مكتبة ضخمة عرفت بالمعصومة والتي حوت عددا ضخما من الكتب[3].

---

(1) ــ مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص218.

(2) ــ مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص- ص 220.218.

(3) - إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص- ص 224.223.

ومن خلال هذا نقول إن الرستميين قاموا بدور الوسيط الثقافي كما قاموا بدور الوسيط التجاري فأخدوا من المشرق وأعطوا للأندلس فكانت بلادهم ماء الحياة الذي جدد انطلاق الإسلام إلى غرب أروبا عن طريق الأندلس[1].

وبفعل الإحتكاك الثقافي والاقتصادي بين الرستميين والأندلس ظهرت مؤشرات إباضية في بلاد الأندلس وبالتحديد في أماكن الاحتكاك مثل المرية التي كانت اغلب سكانها على المذهب الخارجي، كما كان أحد معلمي أبناء الوزير هشام بن عبد العزيز يسمى بن عنيث الليلى والذي عرف عنه الحزم والتشدد حتى قاربت صرامته الإباضية، كما عرفت بلاد الأندلس هجرات كثيرة من علماء المغرب إليها مثل بكر بن حماد التهرتي الذي حظي بمكانة عظيمة عند ابن سعيد القاضي فسمع منه تواليفه وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمان التيهرتي[2].

(1) - إبراهيم العدوي: نفسه، ص224.

(2) - عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص221.

الفصل الثالث

دور قبيلة كتامة بالدعوة الإسماعلية ودول المغرب

المبحث الأول: علاقة كتامة بالدعوة الإسماعيلية.

تعود جذور الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب إلى سنة 762/145م[1]، حينما أرسل جعفر الصادق سادس الأئمة الشيعة[2]، الداعيان أبوا سفيان و الحلواني من المشرق إلى بلاد المغرب[3]، حتى يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل مُحَمَّد وينشرا فضلهم، وهذا ما تجلى في قول الحلواني إلى أهل سوجمار: "بعثت أنا وأبي سفيان فقيل لنا اذهبا إلى أرض المغرب فإنما تأتيان أرضاً بوراً فاحرثاها أكربها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها"، ومعنى هذا أن يقوما بنشر المذهب الإسماعيلي في أرض المغرب ومعنى قوله هذا تقبل سكان المغرب الأفكار الجديدة[4]، ولذلك أوصاهم بالتوغل في بلاد المغرب حتى مضارب ولاية إفريقية ثم أمرهما أن ينفصلا عن بعضهم البعض... وهذا يعني المبالغة في الحذر و التستر[5] فلما افترقا بأرض كتامة ذهب أحدهما إلى بلد يسمى "مرمجنة" [6]بمكان يقال له "تالا"، وذهب الأخر إلى سوجمار فنزل بموقع يقال له الناضور حيث استمالا قلوب تلك النواحي إليهما وحملوا إليهما الأموال والتحف وأقاموا سنين كثيرة وماتا فكان أحدهما قريب من وفاة الأخر.

---

[1]- القاضي أبي حنيفة النعمان: **افتتاح الدعوة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005 م، ص:23.

[2]-ائمة الشيعة. ينظر: مُحَمَّد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي،د.ت،ص161.

[3]- موسى لقبال: **دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص- ص: 222-223.

[4]- القاضي النعمان :المصدر السابق، ص: 24.

[5]- موسى لقبال: المرجع السابق، ص: 216.

[6]- **مرمجنة:** مدينة صغيرة عليها سور من تراب تبعد عن قسنطينة بثلاث مراحل، ينظر الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة الدينية الثقافية، بور سعيد (مصر)، ج1، ص 293.

وبعد موت الحارثين ظهرت شخصية جديدة للأحداث وهي شخصية أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن مُحَمَّد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء الذي سار إلى ابن حوشب وصحبه باليمن بعدن حتى يأخذ أسرار الدعوة الشيعية الإسماعلية عنه[1].

فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى الإمام الإسماعيلي باليمن ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعي:" إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان و قد ماتا وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة لك..."، فخرج أبو عبد الله من مكة وأعطاه ابن حوشب مالاً وسار معه أبو عبد الله بن أبي ملاحف، فلما قدم أبو عبد الله الشيعي إلى مكة سأل عن حجاج كتامة فؤرشد إليهم واجتمع بهم ولم يعرفوا هدفه ولما سمعه عبد الله يتحدثون عن آل البيت وفضلهم فأخذ يحدثهم بما لا يعلمون فلما أرادا قيام سألوه أن يأذن لهم بزيارته وذلك للاستنباط معه فأذن لهم في ذلك سألوه أين مقصدك فقال أريد مصر ففرحوا بصحبته وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجلين وهما حريث الجيلمي وموسى ابن مكارم، وقد تشبعوا على يد الحلواني فتحدث لهم فأنسوه[2].

وخلال الرحلة من مكة إلى مصر أحاطا كتاميون أبي عبد الله بمظاهر التكريم والاحترام، حيث أنه كان في كل يوم من رحلته يحدثهم بأمر جديد عليه فاستمالت قلوبهم إليه حيث لم يهدف أبي عبد الله إلى استمالتهم فحسب بل كان يريد أن يعرف أخبار بلادهم التي لم يقصدها من قبل.

وكان أبو عبد الله ذكي معهم فكان يسألهم كل مرة على شيء دون أن يلفت انتباههم حيث كان يسألهم عن المناطق التي كانت في بلادهم ويسألهم عن البعد بينها وكان يسألهم عن المسالك وحتى على علاقة الحكام برعية وعكس، وكذلك سألهم حتى على من يرجع أمرهم أي

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص: 45.

[2]- ابن الأثير: المصدر نفسه، ص: 452.

قائدهم[1]...وبعد وصول الركب إلى مصر كان ابي عبد الله قد نجح في تكوين صورة كاملة على بلاد المغرب وبلاد كتامة وهنا حانت ساعة الفراق واختلطت المشاعر بين الطرفين من فرحة إلى حزن فسأله عن هدفه في مصر فقال لهم: التعليم فقالوا له: نحن في أمسّ الحاجة إليك وعرض عليه المال وحاولوا إقناعه فتردد في بداية وذلك من أجل ستر هدفه ولكن في الأخير أظهر اقتناعه ورضخ لإلحاحهم[2].

واستمرت الرحلة من مصر إلى كتامة، فسلكوا طريق طرابلس إلى قسيطلة[3] حتى وصلوا إلى سوجمار اين أصحاب حريث الجميلي وموسى بن مكارم وقد ذكر القاضي النعمان الأشخاص الذين نزلوا ضيوف عندهم وهم عبد الله الأندلسي وأبو القاسم الورفجومي[4].

ولما دعاهم أهل سوجمار إلى المبيت عندهم لم يشئ أبي عبد الله أن يكسر خاطر أحدهم فجعل بينهم السهام فبات ليلة عند عبد الله الأندلسي وفي ليلة ثانية قال أبو المفتش أحد هؤلاء الثلاثة والله لا أظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني فطلب عبد الله منهم جميع الصمت فأخذ عليهم العهد على من سمع ذلك من أبو مفتش اشترط الكتمان ووضع إصبعه على فيه وقال: هذا هو اصبع الذي يقوله الحلواني أمركم بصمت والكتمان. ورحل الجميع إلى أرض كتامة في يوم الخميس ربيع الأول 280هـ حيث تنافسوا على استضافته فأبى أبو عبد الله الشيعي وسألهم عن فج الأخيار فدلوه إليه فقال: إليه نقصد فطمأنهم أنه سيزورهم في عشائرهم واتجه بعد ذلك إلى

---

[1]- موسى احمد بن خالد: **دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية الاموية**، رسالة استكمال اطروحة دكتورا الجامعة الاردنية،2002،ص54.

[2]- علي حسن الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، مطبعة الفنية الحديثة، د.ن، 1972م، ص- ص: 32-34.

[3]- قسطيلة: **مدينة تقع على نهر عظيم وتشتهر بكثرة التمور وليس لها نضير في انتاجه سوى البصرة**، ينظر المقديسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1906م، ص: 230.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص- ص: 32-33.

إيكجان[1] أين فج الأخيار[2]وبعد نزوله إلى فج الأخيار في إيكجان، توافدت عليه القبائل البربرية من كل صوب وحذب وحتى هذه اللحظة لم يذكر اسم المهدي بل مازالت الدعوة في اطارها السري أي الكتمان، ولما ذاع صيت أبو عبد الله الشيعي وتطورت أحداث المنطقة وصل خبر الشيعي الى ابراهيم ابن الأغلب أمير إفريقية، فأرسل إلى عامله بمدينة ملية حتى يتحقق من أهداف أبي عبد الله الشيعي لكن عامل ميلية لم يعطي لأمر قيمة فطمئن الأمير فقال: "هو يلبس الخشن ويأمر بالعدل والعبادة"[3] ورغم ما أكده عامل مدينة ميلية إلى أن الأمير الأغلبي لم يرتح إلى حقيقة هذه الدعوة. فرى أن يقدم بحملة استكشافية فبعث ابن المعتصم المنجم ليأتيه بخبر أبي عبد الله ويبلغه برسالته الشفهية منه وكان في مضمونها تهديد ووعيد إلا أن ابي عبد الله لم يخضع لها[4].

ولما وصل خبر أبي عبد الله الشيعي إليه إرتاع هذا الأخير حينما نقل إليه رسوله حديث أبي عبد الله الشيعي وزادت خطورة الموقف حين، تشيع بعض أبناء البيت الأغلبي وهذا ما تجلى حينما ولى ابراهيم بن علي بن أبي حجر على قفصة[5] وقسيطلة وأمر أن يسير بسيرة (العمرين) فقال هذا الوالي: لن أسير إلا بسرة علي بن أبي طالب وهذا دليل على ميله إلى التشيع[6].

وتعرض كذلك أبو عبد الله الشيعي إلى الخيانة من بعض رؤساء القبائل التابعين لكتامة والذين حقدوا على بني سكتان الذين احتضنوا أبي عبد الله وبهذا انقسمت كتامة إلى قسمين

---

[1]- إيكجان: **جبل يقع بين سطيف وقسنطينة وتمتد حدوده إلى أن تتجاوز أرض القل وبونة ويعتبر موطن كتامة**، ينظر: مُحَمَّد عبد منعم الحميري: **روض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص:71.

[2]- علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق، ص- ص: 37-38.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص- ص: 39-40.

[4]- علي حسني الخربوطلي: المرجع نفسه، ص- ص: 41-43.نص الرسالة ينظر: للملحق رقم 9-10-11، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص- ص41-43.

[5]- قفصة: **مدينة حسنة عليها سور وفيها نهر مائه طيب وفي وسطها عين ماء تسمى بالطرميد مركز وبلاد بها دائرة**، ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص- ص:277-278.

[6]- علي حسني الخربوطلي: المرجع نفسه، ص: 42.

معارض ومؤيد، وهنا إستعد بني سكتان إلى الحرب حيث آلة قيادة الجيش إلى الحسن بن هارون الغشيمي كما عرض هذا الأخير على أبي عبد الله الشيعي أن يذهب معه إلى تصورت فذهب معه هذا الأخير وهناك أتته القبائل من كل مكان وعظم شأنها فخندق حول المدينة وهزم أعدائه عدة مرات وغنم غنائمه واستوى امره بها[1].

في تازوت بنى عبد الله دار الهجرة وبنى قصر سكنه وأقطع أصحابه دوراً حول القصر، وبهذا نظم أبو عبد الله الشيعي أمور هذا المجتمع الشيعي حتى دب الأمن والأمان، وعمل أيضاً على تهذيب المجتمع الشيعي وجعلهم يدا واحدة في ما بينهم وكان كل واحد منهم ينادي الأخر (يا أخانا) وسمى بعضهم البعض بالمؤمنين وغيرهم بالكافرين وقاموا بعقاب المجرم عقابا صارما وأصبح أبي عبد الله الشيعي قدوة لهذا المجتمع الجديد، وكان القرآن الكريم هو منظم جميع أمورهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية[2].

المبحث الثاني: علاقة كتامة بدول المغرب (مع دولة الأغالبة والرستميين)

1- علاقة كتامة بدولة الأغالبة:

تعتبر دار الهجرة هي البوتقة التي إنصهرت فيها كل العناصر التي سكنتها فزال ماكان بينها من خلافات قبلية كما أصبح التشيع، يمثل الرابط الفكري ومبدأ وحدة الاتجاه، كما أصبح هذا التنظيم الجديد يهدد التنظيم القديم القبلي السائد في إفريقية، منذ القرون الطويلة، وكذلك يهدد المجتمع ودولة الأغالبة، وبسبب تطور الجديد في المجتمع البربري أدى إلى إصطدام دار الهجرة التي تتمثل في المجتمع الشيعي وبدولة الأغالبة وبقبائل التي تريد المحافظة على نظمها القديمة ...كما أن

[1]- علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق، ص- ص: 43-44.

[2]-علي حسني الخربوطلي: المرجع نفسه:ص46.

هذا التصادم جعل الأمير الأغلبي يحاول قتال الكتامين الذين كانوا تحت قيادة أبي عبد الله الشيعي لكنه خسر مرتين[1].

لكن في سنة 291هـ توفرت الظروف لأبي عبد الله الشيعي ليبدأ نشاطه العسكري من أجل إتساع نطاق دعوته وسبب، الذي شجعه في ذلك موت الأمير الأغلبي وإبنه في نفس السنة وتولي زياد الله الذي انصرف إلى حياة اللهو[2]،بدأ جهاد الكتامين بقيادة أبي عبد الله الشيعي، وهذا من أجل إمتداد دار الهجرة على حساب إفريقية وأصبح من المحتم أن يغزوا المجتمع الكتامي المجتمع الأغلبي مما جعل الكتاميين يشنون نشاط عسكري واسع المدى، حيث بدأ عبد الله الشيعي جهاده مدينة ميلة، وبهذا إنتقل عبد الله والكتاميين من نصر إلى نصر، وفتحوا الكثير من المدن الإفريقية أو المدن التي كانت تحت راية الأغالبة هذه الإنتصارات شجعت إلى دعوة الإمام الإسماعيلي عبد الله مهدي ، الذي كان في سليمة[3] فخلال رحلة الإمام واصل عبد الله الشيعي بفضل جيشه الكتامي بفتح مدينة سطيف، وبعد فتح المدينة أدرك الأمير الأغلبي زياد الله خطورة الموقف ، وهنا أعد جيش كبير يبلغ عدده 40ألف مقاتل، وبدل فيه أموال طائلة نحو القبائل، فنزل جيشه مدينة قسنطينة فأصبح قريب من إيكجان وازداد عدد الجنود حتى وصل إلى 100ألف، ورغم هذا العدد الهائل إلا أنه خسر أمام جيش الكتامي[4].

ثم وجه عبد الله الشيعي لطبنة، فحاصرها بجنوده وطوقها، وكان العامل عليها الحسن بن نافع المعروف بأبي المقارع، حيث كان الحل هو إستسلام قائد الجند إبن زكريا لأبي عبد الشيعي، الذي أعطاه الأمان بعد أن سمع منه قول بليغ من الشعر[5]، فبعد فتح مدينة طبنة خرج عبد الله

---

[1] – علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق، ص- ص ،46-47.

[2]– موسى احمد بن خالد :المرجع السابق، ص62.

[3]– السليمة: **مدينة زراعية في بلاد الشام تبعد حوالي 34 كلم عن حماة للمزيد** ينظر: موسى أحمد بني خالد: المرجع السابق ، ص62.

[4] – علي حسني الخربوطلي: المرجع نفسه ، ص49.

[5] – القاضي النعمان: المصدر السابق، ص- ص108-109.

بجيش من الكتاميين إلى بلزمة حيث هجم عليهم ثلاث سنوات حتى إنقطع الطعام عليهم ومات حي بن تميم محاصرا فيذكر القاضي النعمان أن أهل بلزمة قاتلوا قتال شديدا ولم يكد يهزمهم إلا من الجهد وغلبة الجوع عليهم ، وقد ذكر أيضا: أن أهل بلزمة أصابتهم مجاعة كبيرة بسبب الحصار عليهم، حتى صاروا يأكلون جلود الحيوانات وعندما فتح عبد الله الشيعي قتل من بقي فيها من مقاتلين وأمر بتحطيم سورها وعاد إلى إيكجان[1].

وبعد سماع زيادة الله الأغلبي استيلاء عبد الله الشيعي على طبنة وبلزمة جمع الجنود ما يقارب 12ألف ، حيث خرج لقتال أهل دار ملول بسبب سماعه أنهم دخلوا في طاعة عبد الله الشيعي، حيث قتل خلق كثير وهدم سورها وعندما سار الجيش الأغلبي في منطقة فحص الرماح فطل عليه وغزبة ومعه جيش يقدر 1000فارس، ولم يكن على علم بخروج الجيش الأغلبي إلى دار ملول حيث تراجع جيش هرون نحو الجبل وبدأ بتفرق فعاد جيش غزوبة إلى عبد الله بفتح لم يري مثله محملين بغنائم والأموال، وبعد خسارة هارون كتب إلى عامل باغية[2]، زيادة الله يخبره بمقتل أخيه حيث جاءه من ذلك غم عظيم[3].

بعد إنهزام قوات الأمير الأغلبي بدأ قواته تنقص من حوله، وهنا أراد عبد الله توجيه ضربة قاضية إلى رقادة[4]، حيث يعيش الأمير الأغلبي فنزل عبد الله الشيعي في القصر، بينما نزل الأمير في دار هديل، حيث إشتبك الطرفان في معركة حامية الوطيس، مما جعلها تدور الدائرة على الأمير

---

[1] – القاضي النعمان: المصدر السابق، ص111.

[2] – باغية: **مدينة كبيرة عليها سور من الحجارة قديم، وجبل الأوراس على بعد بضعة أميال منه، ولفت طريق إلى بلزمة ونقاوس وطبنة** للمزيد ينظر: إبن حوقل: **صورة الأرض**: منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت لبنان،1992م، ص- ص84-85.

[3] – قاضي النعمان: المصدر نفسه، ص ص111-112

[4] – رقادة: **هي مدينة على بعد ثلاثة أميال من القيروان**. للمزيد ينظر: الادريسي: المصدر السابق،ج01، ص224. وقام بها الأغالبة الى عهد المهدي (الإصطخري: **مسالك وممالك** ، تح : مُحَمَّد جابر عبد العالي الحيني، وزارة الثقافة ونشاط القومي لجمهورية العربية المتحدة،1963م، ص35.

الذي إنسحب إلى الآريس[1]،كما مضى أبو عبد الله في انتصاراته، ففتح مدينة قسيطلة وقفصة، ثم اتجه إلى الآريس لقتال الأمير الأغلبي، الذي سارع بالفرار إلى رقادة حيث جمع أمواله وذخائره وغادر ناجيا بنفسه وانتشرت الفوضى بعد رحيله ونتشرت فيها اللصوص ينهبون الدور والقص، وما لبث أن دخل عبد الله إلى رقادة في رجب(296هـ)، بعد فرار الأمير حيث قدم شيوخها وأهلها إلى عبدالله فهنأوه عن فتح حيث استقر عبد الله في رقادة فبعث رسل إلى القيروان حتى يطمئن أهلها فعاد إليها الأمن والأمان[2] .

2-علاقة كتامة بالدولة الرستمية:

عرفت الدولة الرستمية في عصرها الأخير ذروة الضعف وهذا راجع لعدة أسباب من بينها:

الفوضى السياسية التي تردت فيها تيهرت، وذلك من تدهور رهبة الامامة، وكذلك إرتفاع شأن الفرق والطوائف الغير إباضية وتدخلها في شؤون السياسية، والحكم وعمالتها لقوى خارجية بهدف إسقاط الحكم، وكذلك من أسباب ضعف الرستميين تدخل النساء في الحكم وسيطرتهم على الأئمة وكذلك تطاول عمال الأئمة وحرصهم وخدمهم على الرعية، فنهبوا الأموال واغتصبوا الحرائر بالإضافة إلى صراع البيت الرستمي على الإمامة وتكالبهم على الظفر بها[3] وكل هذه المشاكل والدسائس أدت إلى انهيار العصبية الرستمية مما أدى إلى انحلال نظام الحكم وإدارة الروح العسكرية وتراخي قبضة الأئمة على جنودهم بلجؤهم إلى إستعمال الدرهم والدينار بدل الرمح والسنان مما كان سبب في إنهيار المجتمع الرستمي ،وقد عبر إبن الصغير عن ظروف التي كانت تمر

[1] الأريس: **مدينة لها إقليم واسع وسور حصين من الحجر في داخلها عينان جاريتان تسمى إحداهما عين رباح وأخرى عين زياد وتبعد اريس عن مدينة أبة 12 ميل للمزيد**. ينظر: الادرسي: المصدر السابق، ج01،ص292 .

[2] علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق، ص50.

[3] محمود إسماعيل عبد الرازق: **الخوارج في بلاد المغرب عند منتصف القرن 4هـ**، ط02، دار الثقافة دار البيضاء، المغرب، 1985م ، ص227.

بها الدولة الرستمية في أواخر أيامها "وكان البلد قد فسد وفسد أهلها وتجد من المسكر أسواق وللغلمان إخوان" وعجت الطرق بالسماسرة واللصوص وخاصة من سفهاء زناتة[1].

وفضلاً عن المشاكل الداخلية كانت هناك مشاكل خارجيا والتي تمثلت في الضربة التي حلت بإباضية نفوسة سنة 284هـ/897 م من كارثة في موقعة مانوا[2]، والتي أجهز فيها الأغالبة على جيوش نفوسة، حيث كانت تمثل نفوسة بنسبة إلى الإباضية الجيش والعون ((مثلما كانت تمثل كتامة للفاطميين))، وفي الوقت التي كانت فيه تيهرت على وشك السقوط[3] كان أبوعبدالله الشيعي على رأس الجيش من الكتاميين قد أسقط مدينة رقادة عاصمة الأغالبة، وذلك سنة 296هـ، وكانت دولة الأغالبة في ذلك الوقت تعد أكبر وأقوى دولة في المغرب[4]، وبعد أن أسقط عبد الله الشيعي رقادة غير نظره إلى سجلماسة أين كان عبد الله المهدي في السجن، حيث أنه لما كان في طريقه إلى سجلماسة كان لابد أن يمر على تيهرت، وهنا دانت له دون مقاومة. ويرجع السبب استلاء عبد الله الشيعي على تيهرت هو حتى يؤمن ظهره لما يكون في قتال مع المدراريين، وبعد وصول الجيش الكتامي إلى مشارف مدينة تيهرت استدعى عبد الله الشيعي اليقظان بن اليقظان وبنيه حيث لما قادموا إليه أمرى بقتلهم جميعا، وهذا من أجل إستئصال شأفة بني رستم حتى لا يناوئه منهم مناؤى فلم يسلم من القتل من هرب إلى ورجلان[5]، حيث قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا وبعث إلى أخوه إبن العباس حتى يطوف بها بالقيروان ويعلقها على رقادة[6].

وأمر عبد الله الشيعي بإحراق المكتبة الرستمية المعروفة بالمعصومة، وأخذ منها الكتب المتعلقة بالفنون والحكم والرياضيات والصنائع وأضرم النار في تيهرت بعد أن ولى عليها عاملا من

[1] – إبن الصغير : المصدر السابق، ص– ص94-95.

[2] – مانوا : **قصر قديم بين قابس وطرابلس**. للمزيد ينظر: إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ص129.

[3] – محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص203.

[4] – علي حسني الخربوطلي: المرجع السابق، ص50.

[5] – محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص231.

[6] – البكري: المصدر السابق، ص68.

قبله[1]وبسقوط تيهرت أنتهى حكم بني رستم، وهذا بعدما فعله الجيش الكتامي بمدينة تيهرت وأهلها وهنا زال الحكم الرستمي الذي زاد على مئة وثلاثين سنة، لكن بسقوط الحكم الرستمي لم يقضي على الوجود والنفوذ الإباضي في المنطقة، حيث ظلت جبل نفوسة و ورجلان صعبتان على الاحتلال من قبل الفاطميين وقبلهم الأغالبة حيث كانتا تمثلا حصنا منيعا عجز الجيش الكتامي على اختراقه، ومن خلال مأخذناه نقول، نجح الفاطميون في دخول تيهرت دون عناء سنة 297هـ، وأسقطوا حكم بني رستم، ولكنهم لم يفلحوا في الاستيلاء على جبل نفوسة وورجلان وهذا لمنعه الجبل وطراف الواحاة في الصحراء[2].

كما أضحى جبل نفوسة منذ استيلاء الجيش الكتامي بقيادة عبد الله الشيعي على استيلاء تيهرت، يمثل معقلا لثوار الإباضية واعداء للفاطميين، كما لم يفلح الفاطميون في إرغام المناطق الإباضية الخاضعة لحكمهم التحلي على مذهبها وإتباع المذهب الإسماعيلي رغم التعذيب[3].

المبحث الثالث: علاقة الكتاميين بالمغرب الأقصى (بني مدرار نموذجا)

بعد الانتصارات التي حققها أبو عبد الله الشيعي بفضل جيشه الكتامي بعث الى الإمام الإسماعيلي بسلمية مجموعة من الكتاميين حتى يبلغوه برحيل اليهم حيث خرج ابنه القائم وبعض خاصته ومواليه وتقاه رجاله وحرص عبد الله الشيعي على إستدعاء الإمام المهدي وذلك لما قضى على معارضيه في المغرب الأوسط وبدا صراعه مع الأغالبة والتي هي دولة منظمة لها جيشها الثابت لذا اصبح في حاجة الى مؤازرة معنوية[4].

---

[1] – الدريجني: المصدر السابق،ج01، ص-ص94-95.

[2] – إبن زكريا يحي بن أبي بكر: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل عربي، مكتبة الوطنية ، الجزائر،1979م، ص124.

[3] – محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص234.

[4] –حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف: **عبد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب** ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1947،ص- ص 117-118.

وبعد خروج الإمام المهدي مع مرافقيه تعرض الى قطاع الطرق حيث انهبوا أموالهم كما نجح المهدي في الإفلات من ايدي ولاة طرابلس وقسيطلة وغادر بلاد الجريد نحو سيجلماسة وهناك القي القبض عليه من طرف واليها اليسع بن مدرار[1]، فارسل عبد الله الشيعي رسولا الإمام عبد الله المهدي يخبره بهزيمة لجيش الأغلبي فارسل له كتاب مع احد ثقاته فدخل السجن في زي قصاب يبيع اللحم فأوصل الكتاب الى المهدي[2]كما ان الإمام المهدي بعث لداعيته بكتامة يستنفره، وذلك بعد قضاء أبو عبد الله على الاغالبة سنة 296هـ شرع على توه في القضاء على بني مدرار بسجل ماسة فستخلف الشيعي على القيروان اخوه أبو العباس وجعل معه أبا زاكي تمام بن معارك.[3]

خرج عبدالله الشيعي من رقادة على رأس جيش كبير من كتامة وذلك في منتصف رمضان فاهتزت تيهرت في طريقه ، وكان عبدالله الشيعي يستطيع الاستيلاء على سجلماسة والقضاء على حكم بني مدرار، لكنه رأى مسايرة سياسة ملائمة خوفا على حياة عبدالله المهدي في السجن [4].

وبعد وصول عبدالله الشيعي إلى أطراف سجلماسة بعث برسله إلى بني مدرار يذكرهم بأنه قدم لحاجة ولم يقدم لحرب، لكن ابن مدرار قتل السفراء وبعد قتل اليسع للرسل هجم عبدالله الشيعي على المدينة بجيشه الكتامي فهرب اليسع وأهله وأطلع حيث أنه بعد تحرير المهدي والسيطرة على المدينة أمر المهدي بالبحث على اليسع، ويذكر ابن عذاري أن قوما من البربر يعرفون بني خالد قبضوا على اليسع وسلموه إلى عبدالله الشيعي الذي ساقه إلى الإمام المهدي الذي عذبه شهر وقتله وقتل أصحابه الذين كانوا معه[5].

[1]-المقدسي: الصدر السابق، ص62.

[2]-محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق ،ص214.

[3]-محمود إسماعيل عبد الرزاق: نفسه ، ص 214

[4]- المقريزي : المصدر السابق، ج1،ص- ص 65-66.

[5]- القاضي النعمان : المصدر السابق ،ص- ص 168-169.

ولما قتل المهدي اليسع صادر أموال بني مدرار ونهبت كتامة المدينة وأرغم غالبية سكانها على مغادرتها، ولاقى اليهود خاصة على يدي المهدي ورجاله عنفا شديدا وبهذا تغيرت الصورة السياسية في بلاد المغرب، وذلك لما قدم الإمام المهدي إليها (إذ زال حكم بني الأغلب في إفريقية، وملك بني رستم في تيهرت وملك بني مدرار في سجل ماسة).[1]

[1]-المقريزي : المصدر السابق ،ص- ص55-65.

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية للدولة الحمادية

المبحث الأول: علاقة الحماديين مع الزيريين

خضعت العلاقة بين الحماديين والزيريين إلى الأحقاد والأطماع المتوارثة جيلا عن جيل، والتي أثارت في نفوسهم الضغائن والحقود، هذا من باديس وأولاده من بعده يرثه صغير عن كبير[1]، حيث أنه بعد عجز بني زيري عن بسط سلطانهم في المنطقة بفعل ثورة زناتة وكتامة رأى المنصور بن بلكين إقطاع المسيلة وأشير إلى أخيه حماد حيث عرف هذا الأخير بقوته ودهائه، و إستطاع إخماد الثورة[2]ولما قويت شوكة حماد في المغرب الأوسط، كان الزيرين وأبناء عمومتهم يمرون بمرحلة ضعف، هذا ما ألزم حمادا تقديم المساعدة إلى بن أخيه باديس، الذي استضعفته زناتة لصغر سنه[3]ولهذا أقطع باديس عمه حماد مدينة أشير سنة 387هـ، وأعطاه الخيل والمال والسلاح من أجل يواجه ان ثورات زناتة.

ثم انتهز حماد تكليف الأمير باديس له بالقضاء على زناتة، فاشترط على ابن أخيه أن يوليه المغرب الأوسط، وكل بلد يفتحه فضلا عن إتاحة الحرية له في اختيار مكان إقامته بالبلاد حيث اضطر باديس إلى قبول شرط حماد نظرا للخطر، الذي يهدد دولته، حيث تجرد حماد سنة 395هـ/ 1004م للقضاء على هاته الحركات المعادية، وقد تمكن من إيقاع الهزيمة بزناته، كما شرع في بناء مدينة القلعة[4]سنة 398هـ /1007م، وبعد أن قويت شوكة حماد وذاع صيته بات أمر استقلاله عن الزيرين متوقف عن سبب بسيط حيث قدم حماد يد المساعدة الى باديس وهذا بفعل هجوم زناته عليه بسبب صغر سنه ، كما أخذت بطانة باديس في الوشاية والسعاية حيث ذكروا له أشياء عن عمه جعلته يحس بتأهب عمه بتمرد[5]قلة الثقة بين الطرفين وزاد الحذر من

---

(1)– كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق،ص50.

(2) – أحمد حسن الخضيري: **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب 567هـ /973هـ**، ط1، مكتبة مدبولي ، ميدان طلعت حرب، مصر، د.ت، ص75.

(3) – أحمد حسن الخضيري: المرجع السابق، ص74.

(4) –القلعة :ينظر كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق ،ص98، ملحق رقم 05 و 07.

(5) – أحمد حسن الخضيري: نفسه، ص– ص75–76.ينظر: للملحق رقم 8 رشيد بورويبة، ص39.

بعضهم البعض إلى أن جاءت سنة 405 فحينما أرسل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله تقليدا بولاية ما تولاه أبوه في حياته لقبه بعد وفاة والده بعزيز الدولة[1].

انتهز باديس الفرصة ليحد من سلطان عمه حماد، حيث كان لباديس ابن اسمه المنصور فأردا أن يقدمه، ويجعله وليا للعهد، فطلب من عمه أن يسلمه بعض ما بيده من أعمال (بلدان) من التي اقتطعها حماد إلى بن باديس المنصور، وهي مدينة تجس[2]والقصر الإفريقي وقسنطينة[3]وكان من الطبيعي أن لا يرضى حماد عن انتزاع هذه المنطقة من سلطانه بل امتنع ورفض الاعتراف بولي العهد[4].

اتضح لباديس موقف عمه حماد العدائي دخل معه في صراعات وحروب عديدة، لكن بعد موت باديس عقد الصلح بين حماد والمعز بن باديس سنة 408هـ/1017م، والذي نص اتفاق هذا الصلح على استقلال الحماديين بمنطقة طبنه ،المسيلة والزاب[5]وأشير أي المغرب الأوسط[6].

وقد دعم الصلح أكثر بين الحماديين والزيريين لما زوج حماد ابنه عبد الله بأخت المعز بن باديس[1] فبعد موت حماد سنة 419هـ/1028م خلفه ابنه القائد الذي سار على نهج أبيه،

---

[1]- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح : مُحَمَّد حلمي مُحَمَّد أحمد، القاهرة، مصر،1390هـ/1981م، ج02، ص111.

[2]- **مدينة تجس : تقع بين القيروان وقسنطينة** ، يقول أبو عبيدة البكري: (**ومدينة تجس عليها سور صخري، ولها ربض وبها أسواق وجامع وحمام ، وبها من القبائل البربرية ميلية ، ونفزه ،وقبائل عن كتامة)** للمزيد ينظر: أبي عبيدة البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وموجز من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، ص63.

[3]- إبن الأثير: المصدر السابق ، ج8، ص76 .

[4] أحمد حسن الخضيري: المرجع السابق، ص76.

[5]- **الزاب: على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريد من عمل إفريقية وهو مثلها في حر هوائها وكثرة نخليها، وهو مدن كثيرة، و أنظارها واسعة وعمرانها متصل فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة ومن مدنها: المسيلة ، نقاوس طبنه، بسكرة، تهودة، وأقرب من القلعة بني حماد المسيلة، وبين الزاب والقيروان عشر مراحل** للمزيد ينظر: مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطاب في خبر الأقطار**، تح : إحسان عباس، مطابع هايدلبرغ، بيروت لبنان،1985م ، ص281.

[6] - أحمد حسن الخضيري: المرجع نفسه، ص77.

وخلع طاعة المعز ابن باديس، مما جعل المعز إبن باديس أن يتجرد له على رأس جيش ويحاصره في القلعة لمدة عامين حتى تم الصلح بينهما[2].

أما في عهد الناصر إبن علناس فقد كانت سياسته نحو أبناء عمومته الزيريين كانت بدايتها بداية سوء، وهذا خاصة إقناع تميم بن المعز قبائل بني رياح ورغبة وزناتيين، الذين كانوا متحالفين مع الناصر بن علناس بالتخلي عنه، حيث تسبب هذا التخلي في عواقب وخيمة على بني حماد[3] أدى هذا لبرود السياسي والعداء الذي كان بين الحماديين والزيريين إلى تقوية النورمان والقبائل العربية مثل قبائل بني هلال التي دفعت بالناصر بن علناس إلى نقل عاصمة الحماديين من القلعة إلى بجاية وهذا سنة 461هـ/1068م، كان تأثير القبائل الهلالية كبير على المنطقة مما دفع بتميم بن المعز الناصر بن علناس إلى إبرام معاهدات صلح 470هـ/1077م، حيث احترم الناصر إبن علناس هاته المعاهدات مدى حياته[4].

بعد رحيل الناصر إبن علناس إلى بجاية سنة 461هـ/1069م عاش قرابة عشرين سنة بهدوء تاركا أبناء عمومته الزيريين يتعرضون إلى الغزوات العربية الهلالية والغارات النورمانية[5].

توفي الناصر إبن علناس سنة481هـ/1088م وخلفه إبنه المنصور، الذي انتهج نفس سياسة أبيه حيث استعمل كل الوسائل، التي تطرق، اليها أبوه غير أنه لما توفي أبوه تلقى رسالة تعزية من طرف تميم، حيث يعتبر هذا الموقف أو العمل بادرة خير، بين الطرفين يمكن أن تساهم

-[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص113.

[2] – أحمد حسن الخضيري: المرجع السابق، ص78.

[3] – الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من قرن 10إلى 12م** ، تر: حماد الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان،ج01، ص293.

[4] – الهادي روجي إدريس: نفسه، ص294.

[5] – النورمان: **تعود بداية الوجود النورماني إلى جنوب إيطاليا، حين ساءت الأوضاع في تلك المنطقة، وحين وصلت الأنباء إلى نورميديا بفرنسا تشجع شباب تلك المنطقة إلى الهجرة ، والتحقوا كجنود مرتزقة في جيوش أمرائها واستطاعوا فيما بعد لم الشمل، وتفاهموا مع البابوية ودخلوا في حرب ضد المسلمين** للمزيد ينظر: كريمان كحلال : المرجع السابق، ص32.

في إصلاح العلاقات بين الطرفين اتضح أن هذا العمل الودي الذي كان بين الطرفين ما كان إلا لعبة لعبها المرابطون والزيرون بحيث سعى كل منهم في محاولة خلق ثورة داخلية ضد المنصور (استبداد يلباز أخو المنصور على قسنطينة) كشف النية لدى المرابطين والزيريين[1].

أما علاقة العزيز ابن المنصور، فكانت حسنة مع الزيريين، حيث امتازت بالهدوء، وقد اتبع العزيز طريق الصلح والتفاهم المدعوم بالزواج المصلحي، الذي تم على يد ا يحي إبن تميم سنة 509هـ/1115م[2]،لكن بعد وفاة الأمير الحمادي العزيز بن المنصور سنة 515هـ/1121م خلفه إبنه زكريا، الذي عرف عنه ضعفه وحبه للنساء وولعه بالعبيد[3].

أما يحي بن العزيز فهو لم يهتم بأبناء عمومته الزيريين، هذا لما كانوا في حالة الضعف في فترة حكم العلي بن يحي سنة 515هـ/1121م لما تعرضوا لغزو النورمان، حيث لم يجدوا مساعدة من أبناء عمومتهم رغم استنجادهم بكل القوى الإسلامية، لكن دون جدوى غير أن المرابطين استجابوا لهم سنة 516هـ/1122م[4].

استغل يحي الظروف الوخيمة لأبناء عمومته، حيث وجه قائد جنده مطرف بن حمدون لحماية حدوده مع أبناء عمومته في المهدية، وانتهاز فرصة لضم مدن كانت خاضعة تحت حكم العرب سيطرة الزيريين[5] فالرغم من المعاناة ،التي كان يعانونها الزيريون إلا أن إبن حمدون حاصر المهدية سبعين يوما، حتى استنجد الحسن بن علي بالزيرين، الذين إستطاع فك الحصار على المدينة، وهذا يعني بأن الأمير يحي لم يقم بأي محاولة للتقرب من أبناء عمومته بل كان العكس[6].

---

[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص- ص138-141.

[2] - كريمان كحلال :المرجع السابق، ص52.

[3] - رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977م، ص91.

[4] - عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص154.

[5] عبد الحليم عويس: نفسه، ص156.

[6] - إبن خلدون: المصدر السابق، ص215.

بعد استيلاء النورمان على المهدية، لجأ الحسن بن علي إلى الأمير يحي رغم أنه غزاه من قبل وهذا دليل على إنسانية الحسن بن علي[1]فعندما بعث الحسن بن علي أبناءه إلى يحي لتجديد المعاهدة واستئذانه في العبور إلى عبد المؤمن بن علي، أذن يحي بذلك إلا أنه لما وصلوا إلى بلاده ألقى القبض عليهم، وهذا يعني أن الحسن بن علي تعرض للغدر من طرف الأمير يحي بن العزيز الذي سجنه[2].

المبحث الثاني: علاقة الحماديين مع الفاطميين

لقد استمدت العلاقة مع الدولة الفاطمية جذورها من قبيلة صنهاجة، والتي تنحدر منها الدولة الحمادية، فبعد ما رحل الفاطميون الى مصر361هـ/927م[3]كانت بداية العلاقات لما ارسل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 405هـ/1015م تقليداً بولاية المنصور بن باديس وليا للعهد ولقبه بعزيز الدولة حيث، حيث انتهز باديس الفرصة، وطلب من عمه أن يتنازل له عن قسنطينة وتحس القصر الإفريقي، لولي عهد المنصور بن باديس، غير أن حماد رفض[4]وأعلن خروجه عن الفاطميين وقتل الرافضة وأظهر السنة ونبذ طاعة جملة وتفصيلا للعبيديين، وأرجع دعوة آل العباسيين وذلك سنة 405هـ/1015م، وبهذا سبق الحماديون أبناء عمومتهم الزيريين بثلاثين سنة في قضية الانفصال عن الفاطميين، وبعبارة أخرى نقول أن الحماديين بلكين أول من أعلنوا لانفصال الروحي والسياسي عن الخلافة الفاطمية في مصر[5].

---

(1) -Mouloud gaid :les berbères dans l'histoire de Kahina l'occupation,Edition mimouni,Alger,1990p87.

(2) – كريمان كحلال، حكيمة حداد: المرجع السابق، ص54.

(3) – ابن خلدون: المصدر نفسه،ج6 ،ص20.

(4)–ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص86 –87.

(5) – أحمد حسن خضري: المرجع السابق ، ص– ص76–55

بعد الذي الذي حدث بين حماد وباديس كان سببا في افتراق ملك بني زيري، إلى دولتين: الدولة الزيرية في القيروان ودولة بني حماد في القلعة فبعد انفصال الحماديين فقد المعز بن باديس جزء كبيرا من مملكته، ولذلك صار حماد عاملا لولاة أهل السنة في بلاد المغرب الأوسط[1].

لما توفي حماد بن بلكين سنة 419هـ/ 1028م، خلفه ابنه القائد الذي سار على نهجه وخلع هو الآخر يد الطاعة عن المعز بن باديس والدولة الفاطمية، وهذا الموقف جعل المعز بن باديس يتجرأ عليه ويتقدم على رأس جيش، ويحاصره في القلعة لمدة عامين وهذا سنة 434هـ، حتى تم الصلح بينهما ورجع القائد الى طاعة العبيدين[2]، كما يبدو أن الخروج على الفاطميين كان شعارا يرفعه كل ثائر في المغربين الأوسط والأدنى حيث انفصل المعز بن باديس من الخلافة الفاطمية[3].

وسبب الأوضاع المواتية بعد انفصال المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية، بث الخليفة الفاطمي المستنصر بقبائل بني هلال وسليم حتى اجتاح بلاد افريقية، وهذا من أجل إعادة المنطقة إلى حكمه[4]حيث أنه بعد اجتياح القبائل الهلالية اضطر القائد بن حماد إلى العودة تحت راية الفاطميين ولقبوه بشرف الدولة[5].

هذه الطاعة أعلن عليها القائد لم تكن بنية خالصة، وانما هي مداراة سياسية فرضتها الظروف للحفاظ على دولته، وتعتبر لعبة سياسية بين الطرفين[6]ومهما يكن فقد استفادا الحماديون من هذا كله ليقوم مع علاقة طيبة مع الفاطميين، وهذا ما أدى إلى ازدهار مدينتي

---

(1) - أحمد حسن خضري: المرجع نفسه ، ص78.

(2) -- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص292.

(3) – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص170.

(4)– جورج مارسيه: المرجع السابق،227.

(5) - عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص– ص168– 169.

(6) – أحمد حسين الخضري: المرجع نفسه، ص– ص78–79.

القلعة وبجاية بحيث احتلوا مكانة مرموقة، وقورنت بالقيروان في المجال التجاري والفكري، وكان هذا بعد هجرة الناس لها بسبب الغزو الهلالي[1].

بعد موت القائد بن حماد سنة 446م/1053، خلفه ابنه محسنا الذي لم يبق في الحكم طويلا، حيث دامة مدة حكمه تسعة أشهر وقتل من طرف عمه بلكين بن مُحَمَّد بن حماد الذي اعتلى العرش سنة 447هـ/ 1055م[2]عرف بلكين بحبه لإراقة الدماء غير أنه هو الآخر قتل على يد ابن عمه الناصر بن علناس، والذي وصل إلى الحكم عام454هـ/ 1067م، حيث عرفت الدولة في عهده اتساع إلى أن بايعه أهل القيروان سنة 460هـ/ 1067م، في الوقت الذي حكم فيه الناصر ازداد التدفق الهلالي على المنطقة وازداد بعثهم في البلاد مما عجل الرحيل من القلعة نحو بجاية سنة 461هـ/ 1069.

بعد وفاة الناصر بن علناس خلفه ابنه المنصور الذي عرفت الدولة الحمادية في وقته أوج مراحل اتساعها[3]أما في عهد يحي بن العزيز فقد درص على قطع العلاقة مع الفاطميين، وأعاد الولاء للعباسيين، حيث نقش الخليفة العباسي الإمام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباس على العملة العباسية، وهو أكبر دليل، على تخليه على المذهب الشيعي[4]حيث يمكن القول من خلال ما ذكرناه أن العلاقة بين الحماديين لفاطميين كانت تستغل وفق الظروف لم يكن هناك ولاء حقيقي يشعر به الحماديون نحو الفاطميين[5].

المبحث الثالث: علاقة الحماديين مع المرابطين

[1]-احمد حسين الخضري: المرجع السابق، ص79.

[2]- كريمان كحلال-حكيمة حداد: المرجع السابق، ص56.

[3] – أحمد حسن خضيري: المرجع نفسه، ص80.

[4] – كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع نفسه، ص57.

[5] - عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص128.

يجمع المؤرخون على أن المرابطون هم قبائل صنهاجة الجنوب، وعرفوا على مسرح الأحداث السياسية ككيان سياسي سنة 448هـ/1056م في جنوب المغرب الاقصى في عهد بلكين بن مُحَمَّد بن حماد[1]وقد كان المغرب الأوسط يتعرض للضعف والانقسام فكان الصنهاجيون الملثمون في صحراء المغرب الأقصى يحملون على عاتقهم عملية إنقاذ بلاد المغرب[2]ولم تكن العلاقة بين الحماديين والمرابطين علاقة ودية تماما، وإنما كانت تتخللها بعض المناوشات والحروب الصغيرة نتيجة اصطدام الحماديين السياسة المرابطين التوسعية[3]حيث كان للمرابطين أكثر من حجة يعتذرون بها للانقضاض على المغرب الأوسط وكان من بين حجتهم أن بعض زناتة قد لجؤوا الى الدولة الحمادية، فرأى المرابطون بأن ينقضُّوا عليهم ويضعوا لهم حدا[4]، وكان يعتبر الاستيلاء على المغرب الاوسط عامل من عوامل أمن الدولة المرابطية هذا لكون أن المغرب الأوسط كان يتحكم في الطريق الى ان يصل إلى المغرب الأقصى[5].

وقد لقيت رغبة المرابطين في التوسع ردود فعل من قبل الحماديين حيث لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل قاوموا بكل قواهم، واستعانوا بكل القوى، التي يمكن الاستعانة بها مثل: القبائل العربية وحتى زناتة[6]وقد استطاعوا أن يحرصوا أكثر ملكهم من زحف المرابطين لدرجة جعلت من يوسف بن تاشفين يتراجع عن مطامعه ويميل إلى السلم، ومع هذا فإن الحماديين ظلوا يترقبون الفرصة المواتية للتعبير عن كرههم للمرابطين، حيث انتظروا فرصة عبور قوات المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين إلى الأندلس تلبية لنداء ملوك الطوائف هناك سنة 479هـ.

---

[1] – عبد مُحَمَّد سوادي والحاج صالح: **تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1،2004.

[2]–أحمد حسن الخضري: المرجع السابق،ص82

[3]– حمدي عبد المنعم مُحَمَّد حسين: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، د.ط،ص229.

[4]–عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص180.

[5]– حمدي عبد المنعم مُحَمَّد حسين: المرجع نفسه، ص230.

[6] – عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص180.

هناك استعان بني حماد بعرب بنو هلال وأغاروا على القسم الغربي من المغرب الأوسط الخاضع للمرابطين، وذلك أن المنصور بن الناصر بن علناس حاصر تلمسان وعاثت عساكره فيها فساداً غير أنه لم يستطع دخولها رغم عودته بغنائم كبيرة[1].

كما يمكن القول انه لو لم يسيطر المرابطون على القسم الغربي للمغرب الاوسط ببسط نفوذهم وهيمنتهم فيه، لكان من الممكن أن تتجاوز القبائل الهلالية المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى ليعثوا فيه فسادا، كما أن رغبة يوسف بن تاشفين في توسع وتوحيد بلاد المغرب، دفعته للقيام بتوحيد المغرب الأقصى، سجلماسة وتلمسان وأخضع شيوخ القبائل وقام أيضا بفتح تنس و وهران[2]،حتى وصل الى الجزائر وهذا بين سنتي 472هـ-473 [3]،وبالرغم مما فعلو الحماديون إلا أن يوسف بن تاشفين سكت على فعلت الحماديين حيث انه لم يقم بالانتقام وصالحهم ولم يرغب في الدخول في حرب معهم وهذا حرصا منه لحقن دماء المسلمين[4].

وعندما توفي الناصر بن علناس عام 481هـ/1088م بعث الأمير يوسف بن تاشفين رسالة تعزية الى ولد الناصر والخليفة الجديد المنصور، وهذا ما يدل الى على نية يوسف بن تاشفين السلمية اتجاه بني حماد، واستمرت مرحلة السلم بين الطرفين لمدة عشر سنوات غير انه نشب خلاف بين والي تلمسان التابع للمرابطين تاشفين بن تنغمير وحكام بني حماد حيث هاجم الامير تاشفين بن حماد دون إذن من الأمير يوسف، فاشتد الصراع بين الطرفين، حتى تدخل الأمير يوسف الذي استطاع بحكمته أن يحقن دماء المسلمين، وقام بعزل حاكم تلمسان وعين مكانه مزدلي[5]،كما أنه بعد أن ضم الأمير يوسف الأندلس أصبحت مدينة بجاية ملاذا للفارين من

---

[1] – عبد المنعم مُحَمَّد حسن: المرجع السابق، ص231.

[2]– **مدينة وهران: مدينة على البر الأعظم من المغرب بينها وبين تلمسان سير ليلة وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، وقال البكري :(وهران مدينة حصينة ذات مياه سائحة وبنى مدينة وهران مُحَمَّد بن ابي عون ومُحَمَّد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين.** ينظر :ياقوت الحموي :المصدر السابق،ج5،ص335.

[3]–عبد المنعم مُحَمَّد حسن: المرجع نفسه، ص ص229-230.

[4]–مُحَمَّد علي الصلابي: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية ،القاهرة ،2003،ص157.

[5] –مُحَمَّد علي الصلابي: المرجع السابق، ص ص157-159.

الأندلس، وكانت سببًا في سوء العلاقات مرة أخرى بين البلدين فنجد أن الحماديين احتضنوا ووقفوا مع معز الدولة بن المعتصم بن صُمادح والذي لجاء الى الحماديين بعد فراره من المرية قبل أن يقتحمها عسكر المرابطين، فرحب بنو حماد بمعز الدولة، ودليل على ذلك إقطاع المنصور بن الناصر بن علناس مدينة تدلس، الى المعتصم بن صمادح كما نجد أن الحماديين قد وقفوا مع إبن مجاهد صاحب مدينة دانية عقب فراره من امام قوات المرابطين التي كان يقودها داود بن عائشة وقد استقبله المنصور بن الناصر واحسن إليه واكرمه ،وبهذا سادت العلاقة بين المرابطين والحماديين بتوترٍ واضح المعالم لكنه لم يؤد الى صدام مسلح بين الطرفين[1].

ويرجع المؤرخون عدم الصدام المسلح بين الحماديين والمرابطين إلى عدة عوامل والتي كان أبرزها سمت القرابة لكون كلاهما من صنهاجة وكذلك التوجه المذهبي السنى، الذي كان يسلكانه خفف الصراع بينهما، وإلا ما ستطاع الحماديون مواجهة المرابطين وذلك لضعف الأمراء الذين جاؤوا بعد المنصور[2].

غير ان العلاقة بين الحماديين والمرابطين بعد موت يوسف بن تاشفين، تحسنت لان الحماديين لم يصبحوا يمثلون خطرا بالنسبة للمرابطين، فضلا عن شعورهم المشترك بخطر الانبعاث الموحدي الذي بدا يظهر في العقد الثاني من القرن السادس هجري[3].

المبحث الرابع: علاقة الحماديين مع الأندلس وأروبا

أ) –علاقة الحماديين مع الأندلس:

(1) –عبد المنعم مُحَمَّد حسن: المرجع السابق، ص232.

(2) –مُحَمَّد علي الصلابي: المرجع نفسه، ص157.

(3) - عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص183.

تعود بداية العلاقة بين المغرب الأوسط والأندلس إلى سنة 290هـ/903م، وهذا لما أسس الأندلسيون مدينة وهران، كما أنهم أسسوا مدينة تنس 292هـ/905م [1]، لكن بعد مرور حقبة من الزمن تعاقبت مجموعة من الدول في حكم المغرب الأوسط، فظهر الحماديون على الساحة السياسية لبلاد المغرب وهذا سنة 408هـ/1018م [2]، كما عرفت بلاد الأندلس في هاته الفترة انهيار السلطة المركزية للدولة الأموية، وهذا منذ سنة 407هـ/1017م، حيث ما كان ليستفيد من هذا التفكك في الأندلس ملوك الإفرنج وحدهم[3].

كما أنه من المستبعد أن تكون هناك علاقة خارجية مباشرة تربط بين الحماديين وحكام الأندلس، وهذا بحكم أن الحماديين كانوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري تابعين سياسيا لبني زيري[4]، كما أن ملوك الطوائف كانوا منهمكين في صراعاتهم الداخلية، وكانوا منشغلين في صد الخطر المسيحي مع أنه كان هناك عاملان ساعدا على إظهار العلاقة السياسية التي كانت بينهما[5].

أولهما: أن الحماديين كانوا يخضعون سياسيا للفاطميين الشيعية في القاهرة بينما كان أهل الأندلس معادين للشيعة، وأما العامل الثاني أن زناتة التي حاولت أن تعتمد على بني عامر[6]في الأندلس ضد صنهاجة، كانت قد سدت باب الإتصال بين الأندلس والحماديين[7]، كما أنه بعد

---

[1]- توهامي ميكاتي: **الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعلاقتها الخارجية**، قسم التاريخ ، جامعة الدكتور الطاهر مولاي، سعيدة،2014-2015م،ص48.

[2]- كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق، ص62.

[3]- علامة دوزي: **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، تر: كامل كيلاني، ط01، مطبعة عين ألباني الحلمي وشريكاه بمصر، القاهرة،1933م، ص07.

[4]- عبد الحليم عويس: المرجع السابق ، ص183.

[5]- كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع نفسه، ص62.

[6]**- بني عامر: تنسب إلى عامر بن صعصعة بطن من قبيلة هوازن القيسية المضرية العدنانية تنتشر في نجدو العراق و الحجاز، والمغرب العربي وقد تولت سلالة بني عامر وزارة الأمويين بالأندلس ، وكانت عاصمتهم بلنسية.** للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج06، ص23.

[7]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق ، ص 183.

أن سقطت الدولة الأموية تفكك الأندلس لم يعد للحماديين أي سياسة خارجية، مع ملوك الطوائف وهذا راجع إلى انشغالهم بالصراعات الداخلية التي كانت بالأندلس.

لكن في عهد القائد بن حماد شهدت بلاد المغرب الأوسط توافد عدد كبير من الأندلسيين لكون الدولة تشهد رخاء وأمنا، وبهذا كانت ملجأ مريحا ومناسبا[1]، كذلك كانت بلاد المغرب الأوسط تعتبر الوجهة الأولى للأندلسيين، باعتبار أن المغرب الأقصى كان تحت حكم المرابطين والمغرب الأدنى تحت قيادة بني زيري كان يتخبط بمشاكله مع العرب والنورمان[2]، ونجد أن الأندلس قد استقروا بالسواحل وهذآ ما تبين لما قدم المعتصم بن صمادح، وختار تنس مقرًا لإقامته، واعتبرت تنس مقرا لكثير من النازحين الأندلسيين.

كما عرفت الدولة الحمادية تلاقحا ثقافيا مع الأندلس، وكان راجعا إلى رغبة العلماء والأدباء في الهجرة الى بلاد بني حماد، فنزلوا مدنها واستوطنوها وأكبر مثال على ذلك هو قدوم عبد الملك مروان بن علي قطان الأندلسي واستقراره ببونة، ويرجع السبب في استقطاب العلماء إلى التشجيع والدعم الذي كان يمنح للعلماء على سائر الطبقات فنجد كل هذه العناصر قد ساهمت في تكوين الملامح السياسية للشخصية الثقافية الحمادية[3]، وكذلك عرفت العلاقة بين الأندلسيين والحماديين في عهد القائد بن علناس علاقة حسنة مع البابوية، وهذا على عهد جير جوري السابع، الذي تبادل معه الرسائل والتي كانت تبدو في ظاهرها دينية، إلا أن هناك من يرى أنها تحتوي على أمور سياسية ضد الزيريين[4].

ب) العلاقة مع أوربا:

أدت العلاقة المتفككة والمتصارعة بين دول المغرب في أغلب الأحيان إلى عدم محاولة الحماديين فتح باب صراع آخر على أنفسهم، حتى ولو كان هذا الباب باب جهاد مقدس، كما أن الغزو

---

[1]- كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق، ص- ص 62-63.

[2]- عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص63.

[3]- عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص249.

[4]- كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق، ص63.

المسيحي للمنطقة عمق العلاقة مع الحماديين وحرصو على عدم تهيج والتصعيد مع بني حماد[1]، كما أن بني حماد تعاملوا مع كل الأديان وبالأخص المسيحية بكل إحترام وأحسنوا معاملتهم[2]، بل الأكثر من ذلك أن الناصر بن علناس كانت له علاقة طيبة بالبابوية ، وهذا على عهد (جير جوري السابع)، إذ تبادلوا معه الرسائل، كما كان يسمح للناصر بالقيام بالوساطة ، وهذا ما تجلى سنة 423هـ/1031م، حين خلص علي بن مجاهد من الأسر عندما وقع فيه والده مجاهد صاحب دانية في سردينيا أمام اليزانيس[3].

كما عرفت الدولة الحمادية منذ تأسيس دولتها قدوم وتوافد المسيحين، وهذا راجع لتعاون أمراء الحماديين معهم لكونهم يحترمون العيش داخل الأراضي البربرية[4]، حيث إنه مما توصل إليه جير جوري والناصر بن علناس إنهم قاموا ببناء أسقفية في بونة، لكون مدينة بونة كانت تزخر بالمسيحين، الذين كانوا يحتفظون بذكر القديس "أوغستين"[5] كما سمح الناصر بن علناس للنصار الموجودين في بونة حرية اختيار أسقفهم، حيث اختاروا ساقفا يدعى" سوفاند"، والذي وافق الناصر على تعيينه[6].

كما بعث جير جوري سنة 469هـ/1079م رسالة إلى الناصر تعتبر تحفة في الدبلوماسية وتعد أكبر رسالة أرسلت من باباوات روما إلى ملوك المغرب وجاء في مضمون الرسالة أن"Abbricus" البيريك و"censuis"سنيوس، من خدام قصر البابا الذين نشؤ به يرغبان في

---

(1) – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 85

(2)– كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع نفسه، ص64.

–(3) سعد زغلول عبد المجيد: المرجع السابق، ص497.

(4) – كريمان كحلال وحكيمة حداد: نفسه، ص64.

(5)– **أوغستين: ولد سنة 354هـ في بلدة صغيرة في قرطا جنة في شمال إفريقية وشهر بتدينه العميق فكان من أشهر مفكري المسيحية ويعتبر الدور الذي قام به بمثابة البوابة الواصلة بين عصور قديمة.** للمزيد ينظر: كريمان كحلال وحكيمة حداد: نفسه، ص65.

(6) – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 187.

خدمة الناصر كما تنص الرسالة أن بأن البابا مستعد لمعاملة كل من تعلق بالناصر معاملة ودية وصادقة[1].

كما أنه في سنة 508هـ/1114م سمح لعزيز بن المنصور بإنشاء كنيسة في القلعة دشنت باسم كنيسة مريم العذراء وكان كاهنها المسمى "عزون" يطلق عليه العامة لقب "الخليفة" وهذا تأثر باللغة العربية وبطابع الثقافة العربية. كذلك في سنة 508هـ/1114م وقعت حادثة تتلخص من خلالها رغبة الحماديين الملحة في إرضاء المسيحيين ، وذلك لما وقع رهبان موكلسان في أيدي القراصنة التابعيين إلى الحماديين وذلك أثناء عودتهم من سردينيا إلى صقلية ، فبعث على إثرها الكونت روجيه حاكم صقلية رسائل بمبعوثيه الخاصين إلى العزيز ملك القلعة ، فرحب العزيز بمساعي روجيه وقبل وسطاته[2].

على الرغم من كل المساعي في الرضاء المسيحين ومحاولة كسب رضاهم ، إلا أن المسيحين كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة مصلحية محددة، وذلك لأنه كل ما سنحت لهم الظروف إلا وهاجموا على السواحل التابعة للحماديين، وهدا يتجلى في محاولة النورمان إغراق الأسطول الحمادي أمام المهدية سنة 529هـ، وكدلك شهدت سنة 535هـ الهجوم على مدينة جيجل من طرف روجيه[3]، كما تواصلت هجومات الأوربيين على بلاد المغرب الأوسط، حيث نجد أن النورمان قد غزو السواحل الحمادية وذلك سنة 535هـ ففتحوا برشك وتنس وشرشال[4].

أما في المرحلة الثانية من الحكم الحمادي فقد شهد الكثير من الغارات التي شنها النورمانديين من صقلية إلى المدن الساحلية وهذا بسبب تقديم الحماديين يد المساعدة إلى أبناء

---

[1]- مُحَمَّد مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج02، ص259.

[2] – عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص189.

[3] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص- ص189-190.

[4] – رشيد مصطفاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، العدد01، الجزائر،1971، ص217.

عمومتهم بالمهدية[1]، حيث كان ردة فعل النورمانديين هي الانتقام سنة 543هـ وهي محاولة السيطرة على بونة غير أن الموحدين منعوهم من ذلك[2].

لكن رغم كل ما تلاقاه الحماديين من الأوربيين لأن روح التقرب بقيت ودلك لماسقطت بجاية في يد موحدين واستلم يحي آخر ملوك الحماديين لحق أخوه حارث بروجي الثاني فستسرخه فأنجده بأسطول غلب به على بونة حيث ظل بها غير ملتفت إلى سلطة الموحدين وهذا بفضل مساعدة النورمان، ولكن لما جاءت سنة 552هـ/1156م حينما استولى الموحدين على بونة وقتلوه وبذلك تعتبر سقوط آخر معاقل الحماديين[3].

[1] – محمد مبارك الميلي: المرجع السابق، ص629.

[2] – كريمان كحلال وحكيمة حداد: المرجع السابق، ص68

[3] – عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص190.

الخاتمة

الخاتمة

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى عددا من الأحداث السياسية التي كانت من نتائجها ظهور ثورات والتي كانت بفعل الاعمال التعسفية التي قام بها بعض الولاة اتجاه الرعية مما اسفر عن بروز ظاهرة الانفصال السياسي عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق العربي والتي تمخض عن ذلك إنقسام المغرب الإسلامي إلى دول وإمارات بعد أن شهدت المنطقة حركة تحرر عن التبعية للمشرق الإسلامي.

وبعد البحث خلصنا الى النتائج التالية:

1. إن العلاقات بين الفاتحين المسلمين والبربر كانت مضطربة في البداية وقد شهد الفتح عددا كبيرا من المقاومة والثورات العنيفة أدت إلى استشهاد العديد من الصحابة والفاتحين مثل عقبة وأبى المهاجر دينار، وكذلك العديد من زعماء البربر.
2. إن العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الولاة اتسمت بالاضطراب والغليان الشعبي حيث ثار البربر مرات عديدة ضد الولاة انتهت بانفصال المغرب الأقصى والمغرب الأوسط عن مركز الخلافة.
3. إن العلاقات الخارجية للدولة الرستمية اتسمت بالهدوء والسلام مع دول الجوار ،غير ان علاقة الرستميين مع العباسيين والاغالبة كانت مضطربة وهذا راجع الى العباسيين كانوا ينظرون الى الرستميين على انهم مغتصبين حقهم في الخلافة في بلاد المغرب ،وحتى الاختلاف المذهبي كان له دور في توتر العلاقات حيث ان الدولة العباسية كانت سنية أما الدولة الرستمية كانت إباضية الا أن هذا لا يمنع أن نسمع أحيانا بعلاقات غير متوترة بين الطرفيين نتيجة الاتفاق بين ولاة إفريقية والأئمة الرستميين، كما أن العلاقة بين الرستميين وأمويي الاندلس كانت علاقة حسنة وقوية وهذا راجع لكون العدو واحد وهو العباسيون.

4. إن علاقة كتامة بالدعوة الإسماعيلية لم تكن تأييدا نابغا عن اقتناع وعقيدة بقدر ما هو ارتباط في جملته بظاهرتي الولاء والحلف أو العصبية الكتامية الخاصة أو البرنسية العامة ضد البتر والعرب أيضا، حيث كان دور كتامة في إنجاح المشروع الفاطمي مزدوجا :سياسيا ومذهبا وشاملا للمغرب وملحقاته، ولم يكن اقتصار الكتاميين في المجال العسكري فقط ،بل كان لهم إسهام معتبر في ميادين الفكر والثقافة والإدارة في بلاد المغرب ،فكان منهم الولاة والدعاة والسفراء والقضاة وكان لهم أثر كبير في الدول ،التأثير على المجاورة منها حيث استطاعوا إسقاط الاغالبة والرستميين وبني مدرار بالإضافة إلى الأدارسة فيما بعد.
5. إن العلاقات الخارجية للدولة الحمادية عرفت شدا وجذبا مع جيرانها الزيريين والمرابطين ،وهذا بسبب أطماع كل طرف في التوسع على الاخر، بالإضافة إلى أن الحماديين كانت تجمعهم علاقة جيدة مع دول أوربا وخاصة إيطاليا.

كما أن الحماديين كانوا السباقين في اعلان الانفصال السياسي والاقتصادي والديني عن الفاطميين، حيث كان لهم الدور البارز في إرجاع المذهب السني المالكي إلى بلاد المغرب الأوسط، وتعرض المغرب الأوسط للهجرة الهلالية مند منتصف القرن الخامس هجري ،وقاومه الحماديون بكل ما أتوا من قوة ،ولكنهم غلبوا على أمرهم إلى الهروب إلى البحر ،فابتنوا مدينة بجاية وتخدوها عاصمة لهم مند 560هـ عهد الناصر بن علناس وكانت هجرة بني هلال من العلاقات المؤثرة عميقا في المغرب الأوسط حيث ربطته باللغة والثقافة العربية إلى اليوم.

الملاحق

الملحق رقم: (01)[1]

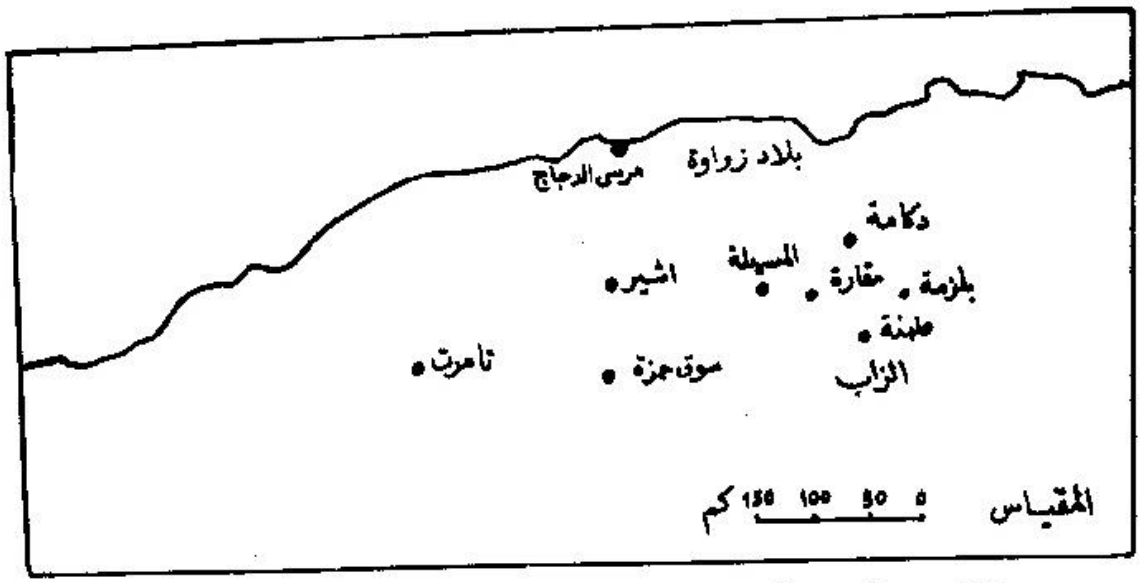

شكل 3 المدن والمناطق التي عقدها المعز على حماد وابنه القائد

[1] رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 39.

الملحق رقم:(2)[1]

ذكر جواب إبراهيم بن أحمد لموسى بن عيّاش مع رسول من قبله إليه وإرساله إلى أبي عبد الله

قال: لما وقف إبراهيم بن أحمد على جواب موسى بن عياش وعلم مراده كتب إليه كتاباً وبعث إليه بابن المعتصم المنجم وأمره أن يتلطف في إيصاله إلى أبي عبد الله وأمره أن يختبر أحواله ويأتيه بصحيح خبره وأوصاه بوصايا إليه وأمره أن يبلغه إياها. فانتهى إلى موسى بن عيّاش، فأرسل موسى إلى بعض بني سكتان يخبره بأن إبراهيم بن أحمد بعث برجل إلى أبي عبد الله ليجتمع معه ويسأله في إيصاله إليه، فرفع ذلك إلى أبي عبد الله فأذن له فيه، فبعث موسى ابن عياش بابن المعتصم سراً إلى أبي عبد الله كما أمره إبراهيم وأنفذه إلى الرجل الذي كاتبه بذلك، فأوصله إليه، فقربه أبو عبد الله وأقبل عليه، وقال له ابن المعتصم: إن الأمير إبراهيم بن أحمد وجهني إليك وأمرني أن أبلغك عنه وأنا رسوله، وإن أذنت لي في تأدية ما أرسلني به إليك أديت إليك، قال له أبو عبد الله: أدِّ رسالتك فما على الرسول إلا البلاغ، قال: وأنا آمن؟ قال: أنت آمن بأمان الله فقل كلّ ما قال لك، قال: يقول لك الأمير: ما حملك على تعرض سخطي والتوثب في مملكتي وإفساد رعيتي والخروج عليّ؟ إن كنت تبتغي عرضاً من أعراض الدنيا فإن ذلك مما تجده عندي إن أنت

[1] القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 41.

الملحق رقم: (10)[1]

تلافيت نفسك ورجعت عن غيك، فاقدم إليّ فأنت آمن، فإن أردت المقام ببلدي أقمت، وإن أحببت الانصراف إلى الموضع الذي جئت منه انصرفت، وإن كان قصدك قصدَ من سوَّلت له نفسه الخلاف على الأئمة واستفساد جهلة الأمة فقد لعلك عرفت كيف كان عواقب مَن مَنَّتْهُ نفسه أمنيتك وسوَّلت له ما سوَّلت نفسك لك من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الآجل، فلا يغرنك ما رأيت من إقبال هؤلاء الأوباش عليك واتباعهم إياك، فإني لو قد صرفت وجهي إليك لأسلموك وتبرءوا منك. واعلم أني إنما أردت الإعذار إليك لإظهار الحجة عليك وهذا أول كلامي لك وآخره لن أقبل لك بعده توبةً ولا أقيلك عثرة ولا أجعل جواب ما يكون منك إلا النهوض بنفسي إليك بجميع أبطال رجالي وأنصار دولتي وجملة أهل مملكتي، فعند ذلك تندم أن جمحت الآن في الغيّ حين لا تنفعك الندامة ولا تقبل منك التوبة، فإن نظرت في يومك لغدك فقد أعذر إليك من أنذرك.

قال أبو عبد الله: قد قلت فاسمع وبلغتَ فأبلغ؛ قل له: أما ما ذكرت من التهدد والوعيد فما أنا ممن يروَّع بالوعيد والإيعاد، ولا يهولُه الإبراق والإرعاد، وأما تخويفك إياي بأنصار دولتك ورجال مملكتك أبناء حطام الدين وذباب طمعها الذين يرتاعون لكل بارق، ويجيبون كلّ داعٍ، وناعق، فإني في أنصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا يروعهم كثرة أنصار الظالمين، مع قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩] وأما ما أطمَعَ إبراهيم به من دنياه وَعَرَضَهُ من زبدها

[1] القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 42.

الملحق رقم: (11)[1]

وحطامها فلست من أهل الطمع فأميل إليه ولا ممن يرغب فيما عنده فيأتيه، وإنما بعثت رسولاً لأمر حُمَّ وقرب، وانتجاز وعد من الله سبق، والله لا يخلف الميعاد، ولا يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد؛ فإن سوَّلت له نفسه ما تَوَعَّدَ به ودعته إليه فسوف تعلم أن الله من ورائه ولن تغني عنه فئة ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين الصابرين؛ فهذا جواب ما جئت به فبلغه ثم تحمل رسالتي إليه وبلغ عني ما حملتك إياه: «إني أدعوه إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى الإمام المهدي من ذرية رسوله دعوة محتجٌ عليه وراغب فيما ينجيه، فإن قبل عني قبل رُشْدَه وإن عند فقد قدمت إليه المعذرة، ولو كان صاحبي لعجلت السير نحوه ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين، حتى إذا بلغ الأجل وحان الحين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ثم صرف أبو عبد الله الرسول على أفضل حال، فبلغ إبراهيم قوله وسأله عن صفته فوصفه حتى كأنه يراه، فامتقع لون إبراهيم وتعاظم أمرَ أبي عبد الله واستهال خبره وأعرض عن ذكره، وعلم أنه صاحبٌ قطع دولته، وقد كان يعني بعلم الحدثان وأخبار ما يكون؛ وإنما بعث إليه ليختبر أمره، فلما علم ذلك وصحَّ عنده أسقط في يديه، فكان إذا ذكر له في الملأ أظهر التهاون بأمره وقلة الإكتراث به وإذا ذكره في الخلاء ومع خاصته قال: والله لو دخل عليَّ هذه المدينة من باب لخرجت من بين يديه من باب آخر؛ والله لكأنني أنظر إلى أكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري هذا؛ وقد كان يميل إلى التشيع وكثير من أهل بيته، والخاصة منهم السالميون وقد كان منهم قوم يُجَذَّمون، فلذلك يقول ابن حسن الشاعر يهجو بعضهم:

[1] القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 43.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. **ابن أبي الزرع** أبو الحسن على مُحَمَّد بن أحمد بن عمر الفاسي: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة والمورقة، الرباط.
2. **ابن الآبار**، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي البلنسي(ت856هـ): الحلة السراء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
3. **ابن الأثير** عزالدين بن حسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري: الكامل في التاريخ، تح: ابي الفداء عبد الله القاضي ، ط 1، دار النشر كتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.
4. **الوزير الغرناطي ابن الخطيب**: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تح: احمد مختار العبادي، درا الكتاب، دار البيضاء، 1964.
5. **ابن الصغير**: أخبار الأئمة الرستميين، تح: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحار، باريس، 1908.
6. إبن حوقل أبي القاسم النصيبي: **صورة الأرض**: منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت لبنان،1992م.
7. **ابن خلدون عبد الرحمان** بن مُحَمَّد ابوزيد الاشبيلي: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خالد شحادة، منشورات مؤسسة الأعلمي، المطبوعات، بيروت، 1968.
8. **إبو زكريا يحي** بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل عربي، مكتبة الوطنية ، الجزائر،1979م.
9. **ابن عبد الحكم** أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله : فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، طبع ونشر لجنة البيان العربي، مصر، 1415هـ.
10. **ابن عذاري المراكشي** :بيان المغرب في ذكر اخبار ملوك الاندلس و المغرب، ط2،مكتبة صابر، بيروت، 1950.
11. **أبو عبيد البكري**: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وموجز من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.
12. **الإدريسي** أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ادريس الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة الدينية الثقافية، بور سعيد (مصر).

13. الإصطخري: **مسالك وممالك** ، تح : مُحَمَّد جابر عبد العالي الحيني، وزارة الثقافة ونشاط القومي لجمهورية العربية المتحدة،1963م.
14. **البلاذري** احمد ابن يحي بن جابر بن داود: معجم البلدان، دار مكتبة الهلال، تح: عبد الله انيس الطباع، بيروت، 1988.
15. **المقريزي تقي الدين أحمد بن علي**: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح : مُحَمَّد حلمي مُحَمَّد أحمد، القاهرة، مصر،(1390هـ/1981م).
16. **الدرجيني** أبو العباس احمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاوي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.
17. **السلاوي** أبوالعباس احمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعني الناصري/مُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، ط2، الدار البيضاء.
18. **الشماخي** احمد بن سعيد بن عبد الواحد: السير، تح: سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، 1992.
19. **الشهر ستاني**، أبو الفتوح مُحَمَّد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد(ت548هـ): الملل والنحل، تح: أحمد فهمي مُحَمَّد، ط2، دار العلمية بيروت، 1992.
20. **القاضي أبي حنيفة النعمان** بن مُحَمَّد التميمي المغربي: افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (لبنان)، 2005م.
21. **مؤلف مجهول** :كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار: تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤن الثقافية، د.ن، د.ت.
22. **المالكي**، أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، تح: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
23. **مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري**: الروض المعطاب في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، مطابع هايدلبرغ، بيروت لبنان،1985م.
24. **المقديسي**: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1906م.
25. **ياقوت الحموي** شهاب الدين أبو عبدالله الرومي البغدادي : معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، 1993.

المراجع:

1. **العدوي إبراهيم**: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، ط1، مكتبة الأنجاد، مصر
2. **بكير بحاز ابراهيم**: الدولة الرستمية (160هـ-296هـ/777م-909م) دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات وزارة الدينية والأوقاف،الجزائر،قسنطينة،2015.
3. **رزناته ابراهيم**: المغرب العربي، معهد الدراسات الإسلامية، الدار البيضاء، 2005
4. **علي تهامي ابراهيم**: أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحراف العقائدي، كلية الدعوة وأصل الدين، قسم العقيدة، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412م.
5. **توفيق المدني احمد**: كتاب الجزائر،ط1،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر،1981.
6. **الخضيري أحمد حسن**: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (567هـ /973هـ)، ط1، مكتبة مدبولي ، ميدان طلعت حرب، مصر، د.ت.
7. **الحريري احمد عيسى**: الدولة الرستمية والمغرب الإسلامي، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.
8. **العبادي أحمد مختار**: تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
9. **أكنوش عبد اللطيف**: تاريخ المؤسسات في المغرب، دار إفريقيا، المغرب،1980.
10. **المدني توفيق**: كتاب الجزائر، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (1350هـ،1931م).
11. **جوت عبد الكريم يوسف**:العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
12. **حسن حسن إبراهيم و احمد شرف طه**: عبد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1947.
13. **محمود حسن**: قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، 1957.
14. **مؤنس حسين**: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، دار الزهراء للإعلام، القاهرة، 1987.
15. **طقوش حمد سهيل**: تاريخ الخلفاء الراشدين، ط1، درا النفائس، بيروت، لبنان، 2003.
16. **حمداوي جميل**: الديانة عند الأمازيغيين، ط1، شبكة الألوكة، 2014، المغرب،.

17. **حمدي عبد المنعم مُحَمَّد حسين**: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، د.ط.
18. **بو نار رابح**: المغرب العربي، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2000.
19. **رشيد بورويبة**: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977م.
20. **زيتون مُحَمَّد مُحَمَّد**: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988.
21. **زغلول سعد عبد الحميد**: تاريخ المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى قيام دول الغالية والأدارسة والرستمية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989.
22. **زغلول سعد عبد الحميد**: تاريخ المغرب العربي، ط2، دار نشأة المعارف، مصر، 1998
23. **أبوخليل شوقي**: بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمان الغافقي، ط3، مكتبة لسان العرب، المغرب، 1998م.
24. **عويس عبد الحليم**: دولة بني حماد، ط1، دار الصحوة، القاهرة.
25. **الجلالي عبد الرحمان**: تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1965،.
26. **شهبي عبد العزيز**: تاريخ المغرب الإسلامي<مختصرات لطلاب الجامعات>، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار- الجزائر ، 2013.
27. **غوردو عبد العزيز**: الفتح الإسلامي لبلاج المغرب،ط2،دار الناشري للنشر الإلكتروني، وجدة، المملكة المغربية،2011.
28. **السعدي عبد اللطيف**: إدريس الإمام منشئ دولة، دار النجاح، الرباط، 2015
29. **العروي عبد الله**: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، 1996.
30. **عبد الله مُحَمَّد سوادي والحاج صالح**: تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط2004،1.
31. **الكعاك عثمان**: البربر، ط1، تامغناست للنشر، تونس.
32. **دوزي علامة**: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، ط01، مطبعة عين ألباني الحلمي وشريكاه بمصر، القاهرة،1933م.
33. **الخربوطلي علي حسني**: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، مطبعة الفنية الحديثة، د.ن، 1972م.

34. **فروخ عمر**: العرب والإسلام في الخوض الغربي من البحر المتوسط من الفتح المغربي والأندلس إلى أخر عصر الولاة، ط1، دار المعارف،بيروت،1959.

35. **أبو مصطفى كمال**: محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، شارع مصطفى مشرفة، الأزاريطة، مصر، 2007.

36. **الشريف حمد الهادي**: تاريخ تونس، ط3، دار ساراس، تونس، 1993.

37. **حسونة مُحَمَّد أحمد**: آثار العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ط1، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1985م.

38. **الغرايب مُحَمَّد**: الجانب الإنساني في المقاومة الأمازيغية حالة كسيلة والكاهنة، ط1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005.

39. **الشريف مُحَمَّد الهادي**: تاريخ تونس، تعريب مُحَمَّد الشاوش، ط3، دار ساراس للنشر، تونس، 1993.

40. **سرور مُحَمَّد جمال الدين**: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي،د.ت.

41. **دبوز مُحَمَّد على**: المغرب الكبير، ط1، دار النشر تاوالت، ليبيا، 1964.

42. **الميلي مُحَمَّد مبارك**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج02،

43. **مصطفى مُحَمَّد**: بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 1968م.

44. **إسماعيل محمود** : الأغالبة و سياستهم الخارجية (184-296هـ)،ط02، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،2000.

45. **محمود إسماعيل عبد الرازق**: الخوارج في بلاد المغرب عند منتصف القرن 4هـ، ط02، دار الثقافة دار البيضاء، المغرب، 1985م.

46. **بن خالد موسى احمد**: دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية الاموية، رسالة استكمال اطروحة دكتورا الجامعة الاردنية،2002.

47. **لقبال موسى**: المغرب الإسلامي، ط1، مطبعة البعث بقسنطينة، الجزائر، 1969.

48. **لقبال موسى**: دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

49. **زبيب نجيب**: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،ط1،دار الأمير، بيروت،ج1995،2.

50. **الهادي روجي إدريس**: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من قرن 10إلى 12م ، تر: حماد الساحلي، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان،ج01.

المجلات والدوريات:

- **حياوي فراس سليم ومُحَّد عبيس حميد** :الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية ،**مجلة كلية التربية الأساسية** ،العدد10،جامعة بابل 2013م.
- **مصطفاوي رشيد**: بجاية في عهد الحماديين ، **مجلة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية** ، العدد01، الجزائر،1971.
- **بوصوري ناصر و ماليكة بلقاسم**: مقاربة أسلوبية لمرثية بكر بن حماد التيهرتي، **مجلة الأثير**، العدد 25، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، جوان 2016م.

الرسائل :

- **بن زاوي طارق**: استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم تاريخ 2008م، جامعة الجزائر.
- **كحلال كريمان و حداد حكيمة** : العلاقات الخارجية للدولة الحمادية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، جامعة مُحَّد اكلي اولحاج، البويرة-الجزائر، 2014-2015.

قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

- Mouloud gaid :les berbères dans l'histoire de Kahina l'occupation, Edition mimouni , Alger,1990.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
قول مأثور	-
الإهداء	-
التشكر	-
المقدمة	أ
المدخل التمهيدي	7
1-التعريف ببلاد المغرب وتقسماته	8
2-التعريف ببلاد المغرب الأوسط	12
3-دول المغرب الأوسط من القرن 1 الى 5هـ	14
الفصل الأول: العلاقات الخارجية للمغرب في العهد الفتوح والولاة	20
1-المبحث الأول: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط	21
2-المبحث الثاني: علاقة الفاتحيين بالمغرب الأوسط	24
3-المبحث الثالث : العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط في عهد الولاة	29
الفصل الثاني: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية	36
1-المبحث الأول: علاقة الدولة الرستمية مع الأغالبة والأدارسة	37
2-المبحث الثاني: علاقة الدولة الرستمية مع بني مدرار والسودان الغربي	42
3-المبحث الثالث: علاقة الدولة الرستمية مع الطولونيين والعباسيين	46
4-المبحث الرابع : علاقة الدولة الرستمية مع اموي الاندلس	51
الفصل الثالث: علاقة قبيلة كتامة بدعوة الإسماعلية ودول المغرب	55
1-المبحث الأول: علاقة قبيلة كتامة بدعوة الإسماعلية	56
2-المبحث الثاني: علاقة قبيلة كتامة مع الأغالبة والرستميين	60
3-المبحث الثالث: علاقة قبيلة كتامة مع بلاد المغرب الأقصى بني مدرار (نموذجا)	65
الفصل الرابع: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية	68
1-المبحث الأول: علاقة الحماديين مع الزيريين	69
2-المبحث الثاني: علاقة الحماديين مع الفاطميين	73
3-المبحث الثالث: علاقة الحماديين مع المرابطين	76
4-المبحث الرابع: علاقة الحماديين مع الأندلس واروبا	79

خاتمة	84
الملاحق	87
قائمة المصادر والمراجع	99
فهرس المحتويات	106
ملخص	-

الملخص

تتضمن هذه المذكرة دراسة العلاقات الخارجية للمغرب الأوسط خلال القرون الخمسة الهجرية الأولى.

ولقد سلطنا الضوء على كل العلاقات الخارجية في بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الحمادية على يد الموحدين، مع إبراز دور الدولة الرستمية والحمادية في إنشاء وانجاح هذه العلاقات.

الكلمات المفتاحية :العلاقات الخارجية –المغرب الأوسط –الرستميين–الحماديين.

Résumé :

Cette mémoire contenir l’étude des relations extérieure du Moyen-Maghreb durant les cinq premiers siècles Hégiriens.

Il met en lumière toutes les relations extérieures au Moyen-Maghreb pendant la période étudiée depuis la conquête islamique jusqu'à la chute de l'Etat Hamadit par les Almouahidines, tout en soulignant le rôle de l'Etat Rostomid et hammadia dans l'établissement et le succès de ces relations.